

حواصت الآداب والعلوم الاجتماعفة

فصلفة علمفة مكممة - تصدر عن مجلس النشر العلمف - جامعة الكوفف

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

حواصت الآداب والعلوم الاجتماعفة

الحولفة الرابعة والثلاثون

الرسالة ٣٩٠

١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م (ففسمبر)

علاقة الهوية باللغة ففن التنظفر والواقع المجمع الفونسف نمؤفا

أ.د. مأمؤد الفؤاؤف
قسم الاجتماع - جامعة فونس
فونس

Identity and Language with Reference to Theory and Reality: A Tunisian Society Model

Prof. Mahmoud Althawadi
Department of Sociology - University of Tunis
Tunisia

جامعة
الكوفف

مجلس
النشر العلمف



University
of Kuwait

Academic
Publication Council



ISSN: 1560 - 5248

ISSN: 1560 - 5248

الرسالة ٣٩٠ - الحولة ٣٤



Monograph 390 - Volume 34

١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م (ففسمبر)

1435 A.H/2013 (Dec.)

RATES

-  Kuwait: K.D 0.500  Bahrain: BD 1  Qatar: RQ 10
 Emirates: DH 10  Saudi Arabia: RS 10  Oman: RO 1
 Cost per issue in Arab Countries: Equivalent to one US dollar
 Cost per issue in other Countries: Equivalent to three US dollars

Subscription for 12 Monographs

Subscription Period	Subscription Type	Kuwait	Arab Countries	Foreign Countries
1 Year	Individuals	4 K.D	6 K.D	22 \$
	Institutions	22 K.D	22 K.D	90 \$
2 Years	Individuals	7 K.D	10 K.D	37 \$
	Institutions	37 K.D	37 K.D	150 \$
3 Years	Individuals	10 K.D	14 K.D	52 \$
	Institutions	52 K.D	52 K.D	210 \$
4 Years	Individuals	13 K.D	18 K.D	67 \$
	Institutions	67 K.D	67 K.D	270 \$

All correspondence and enquiries must be addressed to:

Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

P.O Box 17370 El-Khaldiah - KUWAIT 72454

Tel: 24810319 - Fax: 24810319

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyat al-Adab

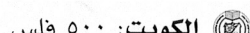
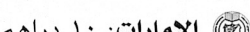
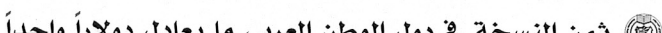
E-mail: aass@ku.edu.kw

<http://Pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS/>

The Publications of The Academic Publication Council

Journal of the Social Sciences 1975, Authorship Translation for the Humanities 1981, The	1973, Kuwait Journal of and Publication Committee Educational Journal 1983,
Science and Engineering 1974, 1976, Journal of Law 1977, Journal of Sharia and Islamic	Journal of the Gulf and Annals of the Arts and Social Studies 1983, Arab Journal of
Arabian Peninsula Studies Sciences 1980, Arab Journal Administrative Sciences 1991.	

ثمن العدد

-  الكويت: ٥٠٠ فلس  البحرين: دينار واحد  قطر: ١٠ ريالات
 الإمارات: ١٠ دراهم  السعودية: ١٠ ريالات  عمان: ريال واحد
 ثمن النسخة في دول الوطن العربي ما يعادل دولاراً واحداً
 ثمن النسخة في الدول الأجنبية ما يعادل ثلاثة دولارات

الاشتراك السنوي لعدد (١٢) رسالة

سنوات الاشتراك	نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
سنة واحدة	أفراد	٤ دنانير	٦ دنانير	٢٢ دولاراً
	مؤسسات	٢٢ ديناراً	٢٢ ديناراً	٩٠ دولاراً
سنتين	أفراد	٧ دنانير	١٠ دنانير	٣٧ دولاراً
	مؤسسات	٣٧ ديناراً	٣٧ ديناراً	١٥٠ دولاراً
٣ سنوات	أفراد	١٠ دنانير	١٤ ديناراً	٥٢ دولاراً
	مؤسسات	٥٣ ديناراً	٥٢ ديناراً	٢١٠ دولارات
٤ سنوات	أفراد	١٣ ديناراً	١٨ ديناراً	٦٧ دولاراً
	مؤسسات	٦٧ ديناراً	٦٧ ديناراً	٢٧٠ دولاراً

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى

توجه إلى رئيس تحرير حوثيات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص. ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت: 72454 - ت: ٢٤٨١٠٣١٩ - فاكس ٢٤٨١٠٣١٩

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyat al-Adab

E-mail: aass@ku.edu.kw

<http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS/>

إصدارات مجلس النشر العلمي

مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حوثيات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١.	مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حوثيات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١.
---	---

حواصت الآداب والعلوم الاجتماعفة

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمف - جامعة الكويت

فصلفة علمفة فحكمفة تتضمن مجموعة من الرسائل
وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل فف مجالات
اهتمام الأقسام العلمفة لكلففف الآداب والعلوم
الاجتماعفة:

الآداب:

اللغة العربفة وآدابها، اللغة الإنجلفزفة وآدابها،
التارفخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعفة:

الاجتماع والخدمة الاجتماعفة، الجغراففا، علم
النفس، العلوم السفسافة.

الحولفة الرابعة والثلاثون
الرسالة التسعون بعد المئة الثالثة

١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م

هيئة التحرير

د. فاطمة إبراهيم آل خليفة

رئيسة هيئة التحرير

أ.د. شفيق الفيرا

قسم العلوم السياسية

أ.د. بدر محمد الأنصاري

قسم علم النفس

د. حسين أحمد بوعباس

قسم اللغة العربية وآدابها

أ.د. جمال بدر القناعي

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

د. علي زيد الزعبي

قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

د. جاسم سليمان الفهيد

قسم اللغة العربية وآدابها

د. مناور بيان الراجحي

قسم الإعلام

د. أحمد الشربيني

قسم التاريخ

مها إبراهيم المسعد

مديرة التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. حياة ناصر الحجي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

أ. د. إبراهيم السعافين
قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

أ. د. عبدالقادر الفاسي الفهري
قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

أ. د. أحمد عثمان
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية
جامعة القاهرة

أ. د. ماري تريز عبدالمسيح
قسم اللغة الإنجليزية - جامعة الكويت

أ. د. إسماعيل صبري مقلد
قسم العلوم السياسية - جامعة أسيوط

أ. د. محمد غانم الرميحي
قسم الاجتماع - جامعة الكويت

أ. د. إمام عبدالفتاح إمام
قسم الفلسفة - جامعة عين شمس

أ. د. محمد محمود إبراهيم الديب
قسم الجغرافيا - جامعة عين شمس

أ. د. حمدي حسن أبو العينين
عميد كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

أ. د. محمود السيد أبو النيل
قسم علم النفس - جامعة عين شمس

قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

- ١ - حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تنشر البحوث من الجامعات والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية في الموضوعات الأدبية والاجتماعية والإنسانية.
- ٢ - تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية، باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات متن أي بحث ٢٠٠ صفحة، ولا تقل عن ٥٠ صفحة (في المتن دون الهوامش والمراجع).
- ٣ - قواعد تسليم البحوث:
 - أ - يقدم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ، على ورق (A4)، وعلى مسافة واحدة، وبنط (١٤)، مع القرص المرن الخاص به.
 - ب - يرفق الباحث ملخصاً للبحث مطبوعاً باللغتين العربية والإنجليزية؛ في حدود ١٥٠ كلمة للغة العربية، و٢٠٠ كلمة للغة الإنجليزية.
 - ج - يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهم مؤلفاته وأبحاثه.
 - د - يقدم الباحث إقراراً كتابياً بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.
 - هـ - تقدم الخرائط، والأشكال، والرسوم بأصولها الصالحة للطباعة، أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع، مع ضرورة تقديم الشريحة الأصلية للصور الملونة.
 - و - في حال رغبة الباحث نشر الصور، أو الخرائط، أو الأشكال البيانية ملونة، يلتزم دفع تكاليفها.
- ٤ - يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعته ما يلي:
 - أولاً - الهوامش:
 - أ - توضع الهوامش في نهاية كل فصل، أو في نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
 - ب - ترتب أرقام التوثيق بطريقة متسلسلة حتى نهاية كل فصل، أو حتى نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
 - ج - تثبت الهوامش عند ذكرها لأول مرة كاملة على النحو التالي:
اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، رقم الطبعة / رقم الجزء، مكان النشر، اسم الناشر، سنة النشر / رقم الصفحة.

مثال:

- أحمد محمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية، الطبعة الأولى - دولة الكويت، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، ٢٠٠٠م / ص ١٥.
* المرجع السابق، ص ٢٦.

- وفي حالة وجود فاصل هامش مختلف يذكر على النحو التالي:
* أحمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية - ص ٣٥.

ثانياً - المصادر والمراجع:

يرتب ثبت المصادر والمراجع ترتيباً ألفبائياً، بحسب الأسماء المشهورة للمؤلفين.

ويتبع في إثباتها ما يلي:

اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، اسم المحقق أو الشارح أو المترجم، رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان النشر، السنة.

مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب «الحيوان»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ١٩٦٥م.

٥ - شروط قبول الأبحاث في الحوليات:

- أ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- ب - أصول البحوث المقدمة للنشر لا ترد ولا تسترجع، سواء أنشرت أم لم تنشر.
- ج - لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها، وإذا ثبت ذلك، فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.
- د - يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي مسبق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات - على الأقل - على نشره في الحوليات.

ه - تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور إهداء.

٦ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيسة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

<http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS>

E-mail: aass@ku.edu.kw

الرسالة ٣٩٠

**علاقة الهوية باللغة
بين التنظير والواقع
المجتمع التونسي نموذجا**

أ.د. محمود الذواذي

قسم الاجتماع - جامعة تونس
تونس

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الرابعة والثلاثون - ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م

المؤلف

الأستاذ الدكتور محمود الحبيب الزواوي

- دكتوراة في علم الاجتماع عن أطروحتي: مفهوم الحداثة في علم الاجتماع الأمريكي - جامعة منتريال - كندا ١٩٧٩.

الإنتاج العلمي :

أولا - الكتب :

أ - باللغة العربية :

- ١ - المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات ٢٠١٠.
- ٢ - الوجه الآخر للمجتمع التونسي الحديث، تونس، تير الزمان ٢٠٠٦.
- ٣ - الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠٠٦.
- ٤ - أسواء جديدة على محددات العقل العمراني الخلدوني، تونس، مركز النشر الجامعي ٢٠٠٣.
- ٥ - التخلف الآخر: عولة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث، تونس، الأطلسية للنشر ٢٠٠٢.
- ٦ - الابتكار في العلوم الاجتماعية: الهامشية الخلاقة، دمشق، دار طلاس للدراسات والنشر ١٩٩٧ ترجمته من الفرنسية إلى العربية.
- ٧ - علم الاجتماع الغربي: مساءلة ومحكمة، هرندين، الولايات المتحدة الأمريكية. المعهد العالي للفكر الإسلامي ٢٠١١، ترجمته من الإنكليزية إلى العربية.
- ٨ - قراءات في رواق مكتبة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، مجمع الأطرش للكتاب المختص ٢٠١١.
- ٩ - قراءات في رواق مكتبة العلوم الاجتماعية حول الجريمة والانحراف، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات ٢٠١٢.
- ١٠ - الازدواجية اللغوية الأمانة وارتباك الهوية وتصدها في المغرب والمشرق العربيين، تونس، تير الزمان ٢٠١٣.
- ١١ - المختصر في الجدل حول النظرية الاجتماعية اليوم (أصل الكتاب بالإنجليزية)، هرندين، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٢٠١٣.

ب - باللغتين الإنجليزية والفرنسية :

- 12 - *L'univers des symboles humains, l'Autre sous-développement au Maghreb et au Tiers-monde*, Tunis, L'Or du Temps 2010.
- 13 - *Globalization of the Other Underdevelopment :Third World Cultural Identities*, Kuala Lumpur, A.S. Noordeen 2002
- 14 - *New Explorations into the Making of Ibn Khaldun's Umran Mind*, Kuala Lumpur, A.S. Noordeen 1997.
- 15 - *Toward Islamic Sociology of Cultural Symbols*, Kuala Lumpur, A.S. Noordee, 1996.
- 16 - *Cultural Sociology within Innovative Treatise: Islamic Insights on Human Symbols*, Lanham, University Press of America, 2013.

ثانيا - الأبحاث : تقتصر على ذكر ٦ أبحاث فقط بلغات ثلاث :

- ١ - مقولة «يرحل الكبار ولا يرحلون» في ميزان نظرية الرموز الثقافية، **المستقبل العربي**، العدد ٣٩٦ / فبراير ٢٠١٢.
- ٢ - مكانة الرموز الثقافية في الطبيعة البشرية، **علم النفس**، العددان (٩٤-٩٥) يوليو - ديسمبر ٢٠١٢.
- ٣ - نظرية الرموز البشرية وقواعد تأثيرات أنماط السلوكيات الجماعية على سلوكيات الناس، **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد ٣٩، العدد ١، ٢٠١١.
- ٤ - تجليات العبر في عقل صاحب المبتدأ والخبر، **المستقبل العربي**، العدد ٣٢٩، يوليو ٢٠٠٦.
- 5 - Ibn Khaldoun : le Printemps arabe des sciences sociales et humaines, *Dirasat*, Vol.40, no 1, 2013.
- 6 - Alternative Discourse on the Study of Culture, *Journal of Social Sciences*, Vol. 40, no 3.

الفهرس

موضوع البحث: أسبابه ومنهجيته	١٥
أولا - مشكل اللغة العربية في الوطن العربي	١٥
ثانيا - سلطان اللغة الفرنسية في المجتمع التونسي	١٥
ثالثا - العوامل النفسية والاجتماعية نحو اللغة العربية	١٦
رابعا - التنظير حول علاقة الهوية باللغة	١٦
خامسا - منهجية البحث	١٧
القسم الأول : اللغة وهوية الإنسان في البحث الأساسي :	١٩
اللغة رمز هوية الإنسان	١٩
موضوع اللغة في البحث الأساسي	٢٠
غياب اللغة في أشهر تعريف للثقافة	٢٣
الإنسان كائن لغوي ثقافي بالطبع	٢٤
منظور جديد للطبيعة اللغوية الثقافية للإنسان	٢٤
غياب الشجرة وحضور فروعها في العلوم الاجتماعية	٣٠
ندرة بحث الموضوع في الأدبيات العربية والغربية	٣٣
القسم الثاني : اللغات وقضية الهوية في المجتمع التونسي وغيره:	٣٧
أضواء فكرية على علاقة الهويات باللغات	٣٧
الخريطة اللغوية للمجتمع التونسي	٤١
العلاقة النفسية والاجتماعية بين التونسيين واللغة العربية	٤٢
اللغة الفرنسية غنيمة	٤٦
هل الفرنسية غنيمة للشعب التونسي؟	٤٧
حضور الفرنسية وخسارة العربية:	٤٧

- الفرنسية نعمة أم نقمة على اللغة العربية ٥٠
- معالم اغتراب اللغة العربية في المجتمع التونسي ٥٢
- قراءة المؤشرات بعدسة العلوم الاجتماعية ٥٤
- إمكانية أن تكون اللغة الأجنبية غنيمة ٥٥
- لغات التدريس بالمجتمع التونسي ٥٩
- النظام التربوي التونسي ودوره في وضع اللغة العربية ٦٠
- علاقة التونسيات والتونسيين بلغتهم الوطنية ٦١
- مواقف خريجي نظم التعليم من اللغة العربية ٦٤
- لغة الضاد في المجتمع التونسي بعد الاستقلال : ٦٧
- ١ - في النظام التربوي ٦٧
- ٢ - النخب السياسية واللغة العربية ٦٩
- مواقف/ اتجاهات المجتمعات نحو لغاتها الوطنية ٧١
- خريطة علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية ٧٢
- القسم الثالث : الجندر واستعمال اللغة : اللغة الفرنسية وإشكالية هوية المرأة التونسية : ٧٥
- المرأة التونسية وسلوكها اللغوي ٧٥
- الجنس والنوع الجنسي ٧٦
- فقدان المفهومين في علم الاجتماع العربي ٧٧
- اللغة الأم عند اليونسكو ولدى المرأة التونسية ٧٨
- عينة لحديث التونسية ٧٩
- تسلط استعمال الفرنسية على التونسيات ٨٠
- الفرنكو أراب اللغة الأم عند التونسيات ٨١
- اللغة الأجنبية وبث مركب النقص ٨٢
- شعار التفتح على الآخر ٨٤

٨٥	دلالات النبذة الباريسية عند المرأة التونسية
٨٦	الحداثة وتقليد الآخر
٨٧	النبذة الباريسية جزء من كل
٨٨	الحتمية الاجتماعية والنفسية والثقافية والسلوك اللغوي
٨٩	الحداثة مصدر مشاكل لدى التونسيات
٩٣	خلاصة القول
٩٦	المراجع
١٠٠	مراجع مختارة

الملخص

يطرح هذا البحث رؤية معرفية «إبستمولوجية» جديدة حول علاقة اللغات بهويات الأفراد والمجتمعات البشرية. ترى هذه الرؤية أن استعمال الإنسان للغة في شكلها المكتوب والمنطوق هو أكثر ما يميز الكائن البشري عن غيره من الكائنات الحية. ومن ثم، فاللغة هي المحدد الأول لهوية الإنسان ككائن فريد على وجه الأرض. فمن منظور البحث الأساسي يعتبر الإنسان إذن كائناً لغوياً بالطبع. فهذا الجانب النظري حول تأكيد دور اللغة الحاسم في تحديد معالم هوية الإنسان لا نكاد نجد له ذكراً في العلوم الاجتماعية الغربية الحديثة كما يشير إلى ذلك الجزء الأول من هذا البحث. وتناسقاً مع مقولة الطرح النظري، فمعطيات الجانب الميداني من واقع الأفراد والمجتمعات تعزز مصداقية تلك العلاقة بين اللغة والهوية لدى الإنسان. إذ تفيد الملاحظات والمؤشرات الميدانية أن المجتمعات التي تسود فيها لغة وطنية واحدة تعرف هي وأفرادها هويتهم بتلك اللغة كما هو الحال في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا. ويتأكد تأثير اللغات على تشكيل هويات الأفراد والمجتمعات حينما توجد أكثر من لغة وطنية في مجتمع واحد كما هو الوضع في العراق. فأكراد العراق يعبرون عن انتمائهم إلى الهوية الكردية في المقام الأول بسبب أن لغتهم الأولى هي الكردية وليست العربية اللغة الرسمية للمجتمع العراقي الكبير. يدرس البحث في جزئيه الثاني والثالث ظاهرة الازدواجية اللغوية بالمجتمع التونسي: استعمال اللغتين العربية (الوطنية) والفرنسية (الأجنبية). وبالرغم من الانتشار الواسع للفرنسية خاصة بين النخب والطبقات الاجتماعية العليا والوسطى، فإنه لا يكاد يوجد في المجتمع التونسي من يرغب في الانتماء إلى الهوية الفرنسية. وفي ذلك إشارة إلى أن اللغة الأصلية للناس هي المحددة لهويتهم. لكن انتشار الفرنسية يحدث ضرراً في علاقة التونسيين باللغة العربية على مستويين: ١- بروز ظاهرة ما أسميه الازدواجية اللغوية الأمانة التي تجعل معظم التونسيين يستعملون اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية مثلاً في كتابة صكوكهم المصرفية ونطق الأرقام والقيام

بإمضاءاتهم. كما أنه لا يكاد يلاحظ الباحث الاجتماعي عند الأغلبية منهم سلوكيات الغيرة والتحمس والدفاع عن اللغة العربية. ٢- تقترن الازدواجية اللغوية الأمانة بمعالم تشويش وارتباك وحتى نكران للهوية العربية خاصة لدى عينات من النخب السياسية والثقافية والنسائية التونسية صاحبة التعليم المزدوج الذي تهيمن فيه اللغة الفرنسية وثقافتها، كما يشرح ذلك الجزءان الثاني والثالث. وفي المقابل نجد انتماء صلبا للهوية العربية لدى خريجي التعليم الزيتوني القديم والحديث حيث اللغة العربية هي السيدة كلغة تعليم وتدريس وثقافة.

الكلمات المفتاحية: اللغة، هوية الإنسان، المجتمع التونسي، الازدواجية اللغوية الأمانة، هوية تونسية مضطربة.

*** علاقة اللغة بالهوية بين التنظير والواقع: المجتمع التونسي نموذجا.**

موضوع البحث : أسبابه ومنهجيته

توجد أربعة أسباب رئيسية وراء موضوع هذا البحث دفعت الباحث لكتابة هذه الدراسة. ويمكن تقسيم هذه الأسباب إلى صنفين: ١ - مشكل اللغة العربية في مجتمعات الوطن العربي و ٢ - الفضول المعرفي للباحث لفهم وتفسير ذلك المشكل برؤية العلوم الاجتماعية، من ناحية، والتنظير حول علاقة اللغة بالهوية لدى الأفراد والمجتمعات، من ناحية أخرى.

أولا - مشكل اللغة العربية في الوطن العربي :

إن حال اللغة العربية في المجتمعات العربية اليوم ليس على ما يرام. بل ذهب مؤتمريروت في مطلع شهر نيسان ٢٠١٢ إلى إصدار وثيقة تقول « اللغة العربية في خطر ». وتنقل جريدة الشرق الأوسط في ٠٨/٠٤/٢٠١٢ ما أجمع عليه المؤتمرين: « .. إن ثمة أزمة كبيرة تواجه اللغة العربية وإنها تزداد يوما بعد يوم بتأثير التغيرات والتطورات والتراكمات التي أدت إلى هذه الأزمة الخطيرة..... بأن التراجع الكبير الذي يحدث للغة العربية ليس لضعفها أو لعدم قدرتها على استيعاب كل المستجدات والعلوم والتقنيات والصناعات والمعارف، ولكن لضعف إعداد أبناء وبنات المجتمع وتأهيلهم وتربيتهم وتعليمهم، وعدم تحميل المؤسسات الحكومية والأهلية والوطنية والعربية والأفراد المسؤولية كاملة تجاه اللغة العربية وفق سياسات وإستراتيجيات مبنية على قرارات وطنية وعربية على مستوى القيادات في الوطن العربي ».

فهذا الوضع الراهن الرديء للغة الضاد في المجتمعات العربية جعل الباحث غير قادر على تبني موقف اللامبالاة من هذه الظاهرة. وهو عالم الاجتماع الذي أولى/يُولي اهتماما خاصاً للغة كظاهرة اجتماعية نفسية في المجتمعات.

ثانيا - سلطان اللغة الفرنسية بالمجتمع التونسي :

لاتزال اللغة الفرنسية صاحبة هيمنة واسعة في المجتمع التونسي بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال ١٩٥٦. فاستعمال لغة المستعمر لا ينفك عن منافسته للغة

العربية/الوطنية في هذا المجتمع حتى في أبسط التعبيرات عن الأشياء اليومية في حياة المواطن التونسي، كما سنرى هذا الوضع في القسمين الثاني والثالث من هذه الدراسة. وبالطبع فإن الفضول العلمي لدى الباحث إزاء هذه الظاهرة اللغوية لم يسمح له بإغفال النظر فيها قصد محاولة كسب رهان الفهم والتفسير لها ولاستمرارها قوية عند الأجيال التونسية بعد زوال الاحتلال الفرنسي منذ أكثر من خمسة عقود.

ثالثا - العوامل النفسية والاجتماعية نحو العربية :

لا تركز الدراسة على وضع اللغة العربية في المجتمع التونسي من حيث إتقان أو ضعف المواطنين والمواطنات لنحو وصرف ومفردات وأسلوب التعبير في لغة الضاد، اللغة الوطنية الرسمية للمجتمع التونسي، بل يهتم البحث في المقام الأول بكشف النقاب عن العوامل النفسية والاجتماعية التي عرقلت/تعرقل منذ رحيل المستعمر من البلاد التونسية التطبيع الكامل لعلاقة التونسيين باللغة العربية. وهومنظورنادر الحضور، حسب علم الباحث، في أدبيات دراسة وضع اللغة العربية المتردي في مجتمعات المغرب العربي على الخصوص بسبب آثارثقل الاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا. وسوف نتجلى معالم طرح علمي الاجتماع والنفوس، في الجزئين الثاني والثالث من هذه الدراسة، في إبراز الجوانب النفسية والاجتماعية للمشكل الذي تتعرض له اللغة العربية بين أهلها الذين تمثل هذه اللغة عند أكثر من ٩٩ في المئة من السكان الأصليين للمجتمع التونسي اللغة الوطنية الوحيدة.

رابعا - التنظير حول علاقة الهوية باللغة :

لايتوقف الشغف المعرفي للباحث عند كشف الغطاء عن الأسس النفسية والاجتماعية التي قادت/تقود إلى غياب التطبيع الشامل والكامل مع اللغة العربية في المجتمع التونسي عموديا وأفقيا : بين النخب وعامة الشعب. بل يتجاوز التشوق المعرفي لصاحب هذه الدراسة إلى الحفر في أسس العلاقة بين الهوية واللغة عند

الإنسان. وهو تشوق معرفي يندرج في ما يُسمى بالبحث الأساسي Basic Research في ميادين العلوم الحديثة. أي أنه مسار بحثي يهدف إلى تعرف جوهر وعمق طبيعة الأشياء وإلى العلاقات بينها. وهذا ما تسعى إلى تحقيق البعض منه على الأقل مغامرة الباحث التنظيرية حول العلاقة بين الهوية واللغة.

وهكذا، فالبحث يقتصر على دراسة قضيتين اثنتين: الوضع غير الطبيعي/السليم للغة العربية/الوطنية في المجتمع التونسي قبل الثورة وبعدها ومسألة العلاقة بين الهوية واللغة التي تجعل البعض يقولون: إن اللغة بطاقة تعريف للناس في المجتمعات البشرية المختلفة. ومن ثم، يدرس هذا البحث علاقة اللغات بهوية الأفراد والمجتمعات والشعوب؛ نظراً لأن اللغة هي أحد العوامل الرئيسية المحددة للهوية الفردية والجماعية. تفيد البحوث أن اللغة والدين والعرق واللون هي أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية بمعنييها الفردي والجماعي (الذواوي 1997: 4 - 27، 49: Porter 1967). وهناك أكثر من تعريف لمفهوم الهوية. فبعض الباحثين يرى أن الهوية هي تلك السمات المعروفة للفرد أو الجماعة، أو هي كيف يرى الناس والمجتمعات الذات والآخر، أو هي عبارة عن مجموعة من القيم المشتركة والمعتقدات والمواقف والاتجاهات والأدوار التي ترسم الحدود بين هوية من هو داخل الجماعة/المجتمع ومن هو خارجها/خارجها (رجب 2011: 6 - 7).

خامساً - منهجية البحث :

أما المنهجية التي يتبناها هذا البحث فتشمل **مستويين تنظيمي وفكري**: يدرس القسمان الثاني والثالث من البحث علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية، لغتهم الوطنية ومدى ارتباط ذلك بالهوية العربية لديهم على المستويين الفردي والجماعي. وعلى المستوى الفكري/المعرفي، يستعمل القسم الأول رؤية العلوم الإنسانية والاجتماعية لإبراز **مركزية اللغة في هوية الإنسان** ككائن لغوي ناطق الأمر الذي يساعد تحليل مسألة علاقة اللغة بهوية الإنسان كإنسان وعلاقات هويات الجماعات والمجتمعات بلغاتها. وكجزء من المنهجية التنظيمية الفكرية

المطروحة هنا، يقدّم نصُّ هذا البحث عمدا كلمة التونسيات على كلمة التونسيين في تحليل وضع اللغة العربية بالمجتمع التونسي الحديث بسبب ما يلاحظ من انجذاب أكبر لدى الفتيات والنساء التونسيات نحو اللغة الفرنسية واللغات الأجنبية بصفة عامة. يركز القسم الثالث من دراسة الباحث على هذه الظاهرة ويُفصّل القول فيها.

القسم الأول

اللغة وهوية الإنسان في البحث الأساسي

اللغة رمز هوية الإنسان :

إن تركيز هذا البحث على العلاقة بين اللغة والهوية في المجتمع التونسي ينطلق من منظومة فكر إيبستمولوجي/معرفي للباحث يقول إن اللغة المنطوقة والمكتوبة هي الميزة الأولى التي تحدد هوية الإنسان كإنسان بحيث يجوز تلخيص ذلك في العبارة: **أستعمل لغة** إذن فأنا إنسان. أي أن بني البشر يكسبون هويتهم الإنسانية بواسطة هبة اللغة في شكلها المنطوق والمكتوب. وللتعمق أكثر في مركزية اللغة في هوية الإنسان دعنا ننظر إلى مكانة اللغة في منظومة ما يسميه صاحب البحث الرموز الثقافية المميزة أيضا لهوية الإنسان والمتمثلة في اللغة والمعرفة/ العلم والفكر والديانات والقوانين والقيم والأعراف الثقافية. إنها كلها سمات رئيسية مميزة للجنس البشري. فمفهوم **الرموز الثقافية** عنده هو مرادف إلى حد ما لكلمة الثقافة Culture التي تستعملها العلوم الاجتماعية المعاصرة. وسيتجلى الفرق بين الاثنين في السطور القادمة، وفي متن البحث بصفة عامة.

يعتبر المنظور الفكري لصاحب الدراسة أن اللغة هي أم بقية عناصر منظومة الرموز الثقافية جميعا. إذ عند التساؤل عن أهم عنصر في منظومة الرموز الثقافية يقف وراء ميلادها وتطورها ونضجها، فإن اللغة البشرية المنطوقة على الأقل تكون هي وحدها المؤهلة لبروز منظومة الرموز الثقافية / الثقافة كما وقع تعريفها سابقا. إذن، يصعب تخيل وجود بقية عناصر الرموز الثقافية كالدين والعلم والفكر، مثلا، بدون حضور اللغة البشرية في شكلها المنطوق على الأقل. ومن ثم، جاءت مشروعية تأكيد الباحث المتكرر في مقولة أبحاثه المتعددة في العلوم الاجتماعية والإنسانية أن **اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعا** (الذواوي ٢٠٠٦: ٢٨). وهذا يعني أن اللغة معلم مركزي في هوية الإنسان ككائن فريد بين الكائنات الأخرى. فعلى مستوى

المقاربة النظرية، يمكن القول بأن اللغة في شكلها المنطوق والمكتوب تحدد هوية الإنسان ككائن مختلف عن بقية المخلوقات الأخرى. يجوز اعتبار هذا التصور النظري للعلاقة بين هوية الإنسان وهبة اللغة بأنه المنظور الأم/الكبير (الماكرو) الذي يساعد على تشخيص تلك العلاقة في دراسة حالات محددة بعينها (المايكرو) مثل مسألة علاقة الهوية بانتشار لغة أجنبية كلفة تدريس وعمل وتواصل وو.. في البلاد التونسية، كما سنرى.

إن هذا الطرح الفكري المعرفي لجوهر الظاهرة اللغوية لدى الإنسان يسمى في اصطلاح العلم الحديث البحث الأساسي Basic Research، وهو البحث الذي ينصرف اهتمامه أولاً وقبل كل شيء إلى إرساء رصيد معرفي/علمي متعمق حول الظواهر المدروسة (Simon 1967). وهو يختلف مع ما يُدعى بالبحث التطبيقي Applied Research. فهذا الأخير يهدف بالتحديد إلى تمكين الإنسان من استعمال المعرفة وليس بالضرورة إلى الدفع بها إلى الأمام. وبناءً على هذا، فإن البحث التطبيقي يعتمد على المعطيات المعرفية للبحث الأساسي. فنمو الرصيد المعرفي حول الكون وظواهره المتنوعة مربوط، إذن، شديد الارتباط بحال البحث الأساسي في المراكز العلمية الموجودة بالمجتمع الصغير أو بمجتمع العالم الكبير. فعملية تقصي الحقائق بالنسبة لطبيعة اللغة ليس ضرباً من الشطحات الفلسفية المجردة، وإنما هي مطلب جوهري يحتاج إليه بالتأكيد رصيد المعرفة البشرية الذي يهتم بفهم وتفسير السلوكات اللغوية الفردية والجماعية. فبدون البحث الأساسي المتعمق في لغز اللغة البشرية يصعب التفكير في تعزيز وتوسيع قدرة البشر على فهم أنماط سلوكياتهم اللغوية على المستوى الفردي والجماعي كما سنرى في قراءة تفصيلية لخريطة المسألة اللغوية في المجتمع التونسي الحديث.

موضوع اللغة في البحث الأساسي:

يحظى موضوع اللغة في البحث الأساسي باهتمام كبير بين الباحثين. فقد ذهب عالم النفس بنكر Pinker إلى القول بأن اللغة هي غريزة في الإنسان

مثلاً مثل قدرة الإنسان الغريزية على المشي. أي أنها شيء متجذر ومبرمج في الطبيعة البشرية (Pinker 1995). وهذا ما يفسر نجاح كل الأطفال بكل سهولة على استعمال وحذق اللغات. فلو لم تكن المقدرة اللغوية أمراً غريزياً مبرمجاً في عمق صميم الطبيعة البشرية لفشل عدد غير قليل من الأطفال في تعلم اللغة كما يفشلون في تعلم القراءة، مثلاً. وبعبارة أخرى، فالقدرة على استعمال اللغة مسألة ديمقراطية متاحة لكل الناس في الظروف العادية ولا يحرم منها إلا نزر قليل من الناس لأسباب خلقية أو لأسباب عارضة في حياتهم. إن حرمان هؤلاء من استعمال اللغة لا يؤدي بالضرورة إلى عجزهم على امتلاك، بدرجات مختلفة، بقية عناصر المنظومة الثقافية كالتفكير وممارسة العلم والمعرفة والتدين والتأثر بقيم وتقاليد المجتمع. تمثل ملكة اللغة، هذه الغريزة البشرية، مخزوناً مركزياً وأساسياً في طبيعة الإنسان. ولهذا المخزون **وجهان**: ١ - استعمال اللغة المنطوقة والمكتوبة و ٢ - الاستعداد والقدرة على استعمال بقية مكونات منظومة الرموز الثقافية. إن حضور الوجهين للملكة اللغوية هو بالطبع الوضع المثالي لتمكين أفراد الجنس البشري من كامل تمتعهم بما هو موجود في هذا العالم، ومن ثم التأهل الكامل للعب دور السيادة فيه.

يرى العالمان نوبل W.Noble وديفيدسن I.Davidson أن اللغة هي أداة التفكير الرمزي عند الإنسان. فهي التي تمكنه من صياغة المفاهيم والأفكار ونشرها بين الآخرين. ففي نظرهما وقع **الانفجار الثقافي الكبير** The Big Cultural Bang في دنيا الإنسان بواسطة اللغة. فيها استطاع بنو البشر أن يبتكروا الفنون والتقنيات الجديدة للتعامل مع محيطهم (Davidson, Noble 1989). وهكذا تتجلى مركزية اللغة بوجهيها في تشكيل هوية الإنسان، هذا الكائن الفريد على أديم هذه الأرض. ومن هنا، تأتي مشروعية القول بأن اللغة هي المصدر الذي لا ينضب في قدرته على مد الكائن البشري وحده بتاج صفة الإنسانية على مر العصور.

وتأتي مقولة عالم اللسانيات الأمريكي المشهور نوام شومسكي Noam Chomsky بخصوص تعلم الطفل للغة لتعزز مبدأ الرجوع إلى **الأساسيات** Basics

كإطار منهجي لعدد متزايد للعلماء والباحثين المحدثين (Chomsky, 1975). فدراسات شومسكي وأتباعه لظاهرة تعلم الطفل للغة واستعماله لها أدت بهم إلى تسجيل ملاحظتين رئيسيتين في هذا المضمار:

(١) يتعلم الأطفال مفردات وقواعد اللغة الأساسية مع بلوغهم سن الرابعة بسرعة تفوق سرعة تعلمهم لما سماه شومسكي وأتباعه للمهارات الذهنية والفكرية الأخرى other intellectual abilities، ومن ثم جاء تأكيدهم على أن البشر يولدون بمقدرات واستعدادات فطرية ضخمة لتعلم اللغة.

(٢) لاحظ شومسكي وموالوه أن قواعد اللغة تسمح للطفل بأن يستعمل، بطرق تكاد تكون غير محدودة، أنواعا مختلفة من التركيبات الكلامية والجملة التي لم يسمعها أبدا من قبل. فتعامل الطفل مع اللغة يتصف، إذن، بملامح الابتكار creative aspects، وهو تحليل يضع علماء النفس السلوكيين the Behaviorists أمام صعوبات جمة إزاء تفسير ظاهرة التجديد في استعمال اللغة عند الطفل وفقا لأدوات السلوكيين في تفسير السلوك والتمثلة في الاستجابة المباشرة وعملية التعزيز (التدعيم) reinforcement والدراية الارتجاعية feedback من المحيط الخارجي.

إن ما جاء في (١) و(٢) يشير إلى أن الأطفال يولدون في هذا العالم وهم يحملون استعدادات لغوية فطرية تتحدى مؤثرات البيئة. ففي حديثهم لا يقلدون حرفيا دائما نمط تركيبية الكلام الذي يسمعون، بل هم يبادرون إلى صياغة جمل ونظام كلامهم بطريقتهم الخاصة. أي أن حديثهم ليس من حيث تركيبته اللغوية اجترارا روتينيا لكلام سمعوه في الأسرة والحي والمجتمع ككل. وبعبارة أخرى، فإن شومسكي وأصحابه يطرحون مفهوم ما يمكن أن نطلق عليه بالطبيعة البشرية اللغوية التي يفوق تأثيرها ويتحدى في اللغة أحيانا تأثير البيئة على الطفل.

كان يمكن الإطناب في الأمثلة السابقة للتدليل على أن سلوك الإنسان يتأثر في العمق بمؤثرات خلقية فطرية. هذه المؤثرات تكون في نهاية الأمر صلب الطبيعة

البشرية. فهذه الأخيرة هي مجموعة من الاستعدادات والمقدرات الثابتة التي تتميز بها طبيعة الإنسان، بغض النظر عن محيطه الاجتماعي والثقافي، إنها تلك الثوابت التي يشترك فيها بنو البشر بصرف النظر عن لون بشرتهم ومكان إقامتهم على خريطة الكرة الأرضية.

غياب اللغة في أشهر تعريف للثقافة :

ونظرا لمركزية ملكة اللغة في نشأة منظومة الرموز الثقافية/الثقافة، حسب منظور التحليل في هذا البحث، فإن وصف القدماء للإنسان بأنه **حيوان ناطق** وصف مشروع جدا؛ لأن اللغة المنطوقة والمكتوبة هما أكثر ما يميز الجنس البشري عن بقية الأجناس الأخرى، ويعطيه السيادة عليها بواسطة منظومة الرموز الثقافية. إنهما بكل المقاييس مصدر تأهل بني البشر وحدهم بكل مشروعية إلى كسب رهان صفة الإنسانية، ومن ثم السيادة في هذا العالم.

ورغم مركزية ملكة اللغة في هوية الإنسان ومن ثم في بروز منظومة الثقافة في المجتمعات البشرية، كما وقعت الإشارة، فإن أشهر تعريف لمفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية الغربية المعاصرة لا يذكر اللغة كعنصر مركزي وأساسي في صلب منظومة الثقافة باعتبارها العنصر الرئيسي المنشئ والمؤسس لظاهرة الثقافة البشرية، وهي بالتالي جزء منها في نفس الوقت. وهذا مالا نجده في أشهر تعريف أنثروبولوجي لمنظومة الثقافة. فقد عرف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد برنارد تايلور (1871 الثقافة Culture) بأنها ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والتقليد وأي مقدرات وعادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع (Sills, Merton 1991:240).

يتمثل قصور هذا التعريف الكلاسيكي للثقافة في كونه لا يشير إلى اللغة ولا يعطيها الصدارة في مكونات منظومة الثقافة، والحال أن اللغة هي منشئة ظاهرة الثقافة نفسها بمعناه البشري الواسع والشديد التعقيد، كما ذكر سابقا. أي أن هناك علاقة عضوية جدا بين اللغة ومنظومة ثقافتها عند بني البشر. وبناء على هذا،

يجوز الحديث بمشروعية عن قصور تعريف تايلور لمفهوم الثقافة بسبب أنه لا يذكر صدارة ومركزية اللغة في تعريفه لظاهرة الثقافة البشرية، ذلك الكل المعقد، كما جاء في مضمون تعريفه السابق الذكر. وهذا معلم آخر للفرق بين مفهوم الرموز الثقافية ومصطلح الثقافة عند تايلور.

الإنسان كائن لغوي ثقافي بالطبع :

يتبين مما سبق أن اللغة والرموز الثقافية هما بيت القصيد في هوية الإنسان. فهذا الأخير يكسب صفة الإنسانية بسبب استعماله لهبة اللغة البشرية ورموز منظومتها الثقافية. وبهذا التميز اللغوي الرموزي الثقافي جاءت مشروعية هيمنة الإنسان على بقية الكائنات الحية والجمادة على حد سواء. أي أن تلك الهيمنة تأتي من الجانب غير المادي (اللغة والرموز الثقافية) في هويته المزدوجة (الرموز الثقافية + الجسد) كما سيأتي شرحه. وكما رأينا، فإن ملكة اللغة هي مصدر تميز الجنس البشري عن سواه بمنظومة الرموز الثقافية. فالإنسان، إذن، ليس حيوانا ناطقا فحسب كما قال قدماء الفلاسفة بل هو أيضا كائن رموزي ثقافي بالطبع. وبعبارة أخرى، فتميز الكائن البشري عن سواه من الكائنات الأخرى بالقدرة على استعمال مهارة اللغة في شكلها المنطوق والمكتوب على الخصوص أهله بطريقة مشروعة لكي يكون وحده مخلوقا لغويا رموزيا ثقافيا بالطبع. وبمصطلح العلوم الاجتماعية الحديثة، يسهل القول إن علاقة الارتباط correlation قوية جدا بين ملكة اللغة عند بني البشر، من جهة، وحضور ظاهرة الثقافة، ذلك الكل المعقد في المجتمعات الإنسانية، من جهة ثانية.

منظور جديد للطبيعة اللغوية الثقافية للإنسان :

ولتعزيز فكرة مركزية اللغة والرموز الثقافية في هوية الإنسان كما هي واردة أعلاه يتبنى الباحثُ منظورا منهجيا مستحدث الصنعة لبلوغ ذلك، ويتمثل في طرح السؤال التالي: هل الإنسان كائن لغوي ثقافي بالطبع ؟

إن الإجابة الشافية على ذلك قد تحتاج إلى آلاف الكلمات في مقال أو دراسة أو كتاب أو حتى إلى عديد المجلدات. ويمكن للمرء أن يتبنى، مثلاً، منظور الفلسفة أو العلوم الاجتماعية أوهما معا لكي يكتب أطروحة متماسكة في هذا الموضوع. فنحن نعرف كم سال حبر أقلام الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين على الخصوص من كل الحضارات وفي كل العصور حول مقولة مشابهة ينادي شعارها: أن الإنسان مدني/اجتماعي بالطبع.

ومن جهة نظر الباحث، فإنه من الضروري الإطناب في النقاش والجدال في جوهر الحجج المؤكدة للطبيعة اللغوية الثقافية للإنسان. فالمسألة يمكن حسمها في سطور وفقرات محدودة. وكما يقال: فخير الكلام ما قل ودل أو البلاغة الإيجاز. وهذا ما يرغب الباحث في القيام به باقتصاد شديد في عدد الحروف والكلمات، من ناحية، وبساطة كبيرة في التعبير وربما في الإقناع في قضية تبدو معقدة للغاية، من ناحية أخرى. وللوصول إلى هذا الهدف يعتمد صاحب الدراسة في هذا المنظور الجديد على الجمع بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية؛ إذ يصعب التعمق في فهم طبيعة الإنسان مع غياب أي من هذين الصنفين من العلوم، فلا يجوز علمياً تحليل ذات الإنسان وعمق كينونته بدون الحديث عن العوامل البيولوجية والفيزيولوجية/الجسمية عند الإنسان. كما لا تقبل محاولة فهمه بتهميش أو الترك جانباً أهم ما يميز الجنس البشري بطريقة فاصلة وحاسمة عن بقية الأجناس الحية الأخرى، وهي المنظومة اللغوية الثقافية أو ما يسميه الباحث في هذه الدراسة الرموز الثقافية: اللغة والفكر والدين والمعرفة/العلم والأسطورة والقوانين والقيم والأعراف الثقافية. وكما أشار الباحث من قبل فإنه يمكن صياغة فكرة هذا الجزء من البحث بشيء من التصرف في تعبير الفيلسوف الفرنسي الشهير ديكارت القائل «أفكر، إذن، فأنا موجود» ليصبح في مقولة طرحه الفكري في هذه الدراسة «أستعمل لغة ورموزاً ثقافية، إذن، فأنا إنسان».

وللإجابة على السؤال المطروح قبل قليل يجيب الباحث بنعم قوية: إن الإنسان هو فعلاً كائن لغوي ثقافي بالطبع قبل أن يكون اجتماعياً بالطبع. يستند هذا القول على ملاحظات رئيسية توصل إليها صاحب الدراسة حول خمسة معالم ينفرد بها

الجنس البشري عن غيره من الأجناس الحية الأخرى. إنها ملاحظات دقيقة تؤكد في نهاية المطاف مركزية اللغة والرموز الثقافية في هوية الإنسان. وحسب علم الباحث، فهي **ملاحظات جديدة** لا يعرف إذا كان قد اهتدى إليها كلها أو إلى البعض منها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع المعاصرون في دراساتهم للثقافة/الرموز الثقافية. ومن ثم، فهي ملاحظات مستحدثة الصنعة، غريبة النزعة، كما وصف ابن خلدون ابتكاره لعلمه الجديد: علم العمران البشري في مقدمته المشار إليها بالبنان. يوجز صاحبُ الدراسة هذه الملاحظات والتعليقات عليها في ما يأتي:

١ - يتصف النمو الجسمي (البيولوجي - الفيزيولوجي) لأفراد الجنس البشري **ببطء شديد** مقارنة بسرعة النمو الجسدي الذي نجده عند بقية الكائنات. ويصلح هذا لتفسير، مثلاً، ظاهرة عجز الأطفال عن المشي المبكر أو البلوغ الجنسي المبكر أيضاً كما هو الأمر عند صغار الحيوانات. فمعروف أن معدل سن الأطفال للقدرة على المشي هو عام بعد ميلادهم بينما يمشي صغار الحيوانات مباشرة بعد الميلاد أو بعد ساعات أو بعض الأيام فقط.

٢ - يتمتع أفراد الجنس البشري عموماً بأمد حياة (سن) **أطول** من عمر معظم الحيوانات.

٣ - ينفرد الجنس البشري بلعب دور السيادة في هذا العالم بدون منافسة حقيقية له من طرف باقي الأجناس الأخرى على وجه الأرض.

٤ - وكما سبق ذكره مراراً في الصفحات السابقة فإن الجنس البشري يتميز بطريقة فاصلة وحاسمة عن الأجناس الأخرى بمنظومة ما أطلق عليه الباحث **مصطلح الرموز الثقافية السابق الذكر**.

٥ - يختص أفراد الجنس البشري **بهوية مزدوجة** تتكوّن من الجانب الجسدي، من ناحية، والجانب اللغوي الرموزي الثقافي (المشار إليه أعلاه في ٤)، من ناحية ثانية. يسمح هذا التصور الجديد لتغيير التصور التقليدي لهوية الإنسان والمنادي بأن الإنسان جسد وروح لتصبح هوية الإنسان في الرؤية المستحدثة

لصاحب الدراسة **جسدا ولغة ورموزا ثقافية**. فيضفي ذلك شفافية أكبر على القرب أكثر من فهم وتفسير السلوكيات البشرية الفردية والجماعية المتأثرة في العمق بمنظومة اللغة والرموز الثقافية ذات الصدارة المركزية في هوية الإنسان، كما يؤكد هذا البحث على ذلك.

والتساؤل المعرفي المشروع الآن من أجل تأكيد مركزية منظومة اللغة والثقافة في هوية الإنسان هو: هل توجد علاقة بين تلك المعالم الخمسة التي يتميز بها الإنسان ؟

أولاً- هناك علاقة مباشرة بين المعلمين ١ و٢. إذ إن النمو الجسمي البطيء عند أفراد الجنس البشري يؤدي بالضرورة إلى حاجتهم إلى معدل سن أطول يمكنهم من تحقيق مراحل النمو والنضج المختلفة والمتعددة المستويات. فالعلاقة بين الاثنين هي، إذن، من نوع العلاقة السببية.

ثانياً- أما الهوية المزدوجة التي يتصف بها الإنسان فإنها أيضا ذات علاقة مباشرة بالعنصر الجسدي (المعلم ١) للإنسان، من جهة، والعنصر اللغوي الرموزي الثقافي (المعلم ٤)، من جهة أخرى.

ثالثاً- عند البحث عن علاقة سيادة الجنس البشري بالمعالم الأربعة الأخرى، فإن المعلمين ١ و٢ لا يؤهلانه، على مستوى القوة المادية، لكسب رهان السيادة على بقية الأجناس الحية الأخرى، إذ الإنسان أضعف جسديا من العديد من الكائنات الأخرى. ومن ثم، يمكن الاستنتاج بأن سيادة الجنس البشري ذات علاقة قوية ومباشرة بالمعلمين ٥ و٤: الهوية المزدوجة ومنظومة اللغة والرموز الثقافية. والعنصر المشترك بين هذين المعلمين هو **منظومة اللغة والرموز الثقافية**. وهكذا يتجلى الدور المركزي والحاسم لمنظومة اللغة والرموز الثقافية في تمكين الإنسان وحده من السيادة في هذا العالم. أي أن الجانب غير المادي من الإنسان (اللغة والرموز الثقافية) هو الذي يؤهله للسيادة وحده في هذا العالم على بقية الكائنات الأخرى الفاقدة لذلك النوع من المنظومة اللغوية والرموزية الثقافية التي يتميز بها الإنسان.

وبهذا الصدد فالباحث لا يقول بالطريقة التقليدية التي ترى أن اللغة والرموز الثقافية غير مادية بمعنى أنها عناصر روحية. بل يقدم تصورا جديدا ملموسا يفسر خلوها من المعالم المادية. فعناصر اللغة والرموز الثقافية كاللغة والفكر والدين لا وزن لها ولا حجم بالمعنى المادي للأشياء المادية التي لا بد أن يكون لها وزن وحجم مهما كانا صغيرين وضئيلين. وهذا يعني في نهاية المطاف أن الجانب غير المادي/ اللغة والرموز الثقافية هو بيت القصيد في كينونة هوية الإنسان. وهو ما تلحّ على أهميته الكبرى عبر العصور معظم المدارس الفلسفية البشرية والديانات، وفي طليعتها الدين الإسلامي. وفقدان عالم اللغة و الرموز الثقافية لعاملِي الحجم والوزن يساعد أيضا على تفسير سرعة التواصل المدهش اليوم بالكلمة المكتوبة والمنطوقة والصورة مع ثورة الاتصالات عن طريق الفاكس والإنترنت والهاتف، وغيرها من وسائل التواصل الحديثة. فالتواصل بتلك الوسائل **يُلغي كليا عاملِي الوزن والحجم من الأشياء المرسلّة** سواء كانت مكتوبة أو منطوقة. يفسر غياب هذين العاملين أيضا إمكانية وضع محتوى عدد هائل من عشرات ومئات آلاف صفحات المجالات والكتب والمجلات في عدد قليل من الحاويات الإلكترونية الصغيرة جدا Flash Disks.

رابعاً- إن منظومة اللغة والرموز الثقافية تسمح أيضا بتفسير المعلمين ١ و ٢. وهو أمر يبدو **عجيبا وغريبا جدا** لا لمحكمي هذا البحث فقط بل لعامة الناس وخاصتهم على حد سواء. وأمل صاحب الدراسة أن يزول العجب والغرابة بعد فهم التفسير لهذا الأمر. وكما يقال: «إذا عُرف السبب بطل العجب».

فالنمو الجسمي البطيء عند الإنسان يمكن إرجاعه إلى كون عملية النمو عنده تشمل **جبهتين**: الجبهة الجسمية والجبهة اللغوية الرموزية الثقافية. وهذا خلافا للنمو الجسدي السريع عند الحيوانات بسبب فقدانها لمنظومة اللغة البشرية والرموز الثقافية بمعناها الإنساني الواسع والمعقد. والملاحظ بهذا الصدد أن الأطباء وعلماء

البيولوجيا لا يكادون يأخذون بعين الاعتبار جبهة اللغة والرموز الثقافية في دراستهم للإنسان هذا الكائن اللغوي الرموزي الثقافي بالطبع. ومع ذلك، فهم طالما يدعون أنهم ينتمون إلى العلوم الصحيحة. وكيف تكون هذه العلوم حقا صحيحة، وهي تهمش دراسة وفهم مركزينونة هوية الإنسان: منظومة اللغة والرموز الثقافية؟!

فمن الأمثلة المذكورة حول مركزية اللغة والرموز الثقافية في هوية الإنسان، يجوز ابتكار مفهوم جديد يسميه الباحث **تثقيف البيولوجيا** *Culturobiology* الذي يعني أن منظومة اللغة والرموز الثقافية تؤثر على بيولوجيا الإنسان كما رأينا في أمر تأخر مشي الأطفال مقارنة بالمشي الفوري لدى صغار الحيوانات، أو في بقاء نمو جسم الإنسان، من ناحية، وسرعة نمو أجساد الحيوانات، من ناحية أخرى.

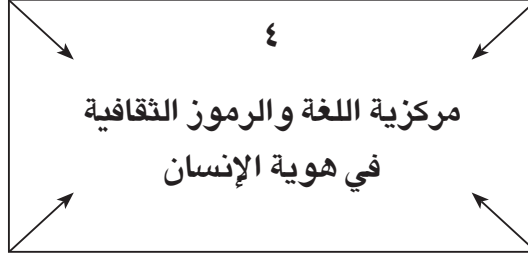
يتضح من المعطيات السابقة أن شرح الميزات الخمس للإنسان ومناقشتها يفيد أن منظومة اللغة والرموز الثقافية الخاصة لدى الإنسان تمثل **العمود الفقري لهويته** ككائن فريد، وصاحب سيادة على بقية الكائنات في هذا العالم، من جهة، وككائن يتأثر عالمه البيولوجي والفيزيولوجي بمنظومة اللغة والرموز الثقافية، من جهة ثانية. فمثل هذا الطرح لعلاقة اللغة والرموز الثقافية بهوية الإنسان، محور هذا البحث، مؤهل لكسب رهان مشروعية النجاح في **إضافة فكرية مبتكرة على صعيدين**: النظر إلى الإنسان باعتباره كائنا لغويا رموزيا ثقافيا، وباعتبار أن طينته البيولوجية الفيزيولوجية تتأثر بمنظومته اللغوية الرموزية الثقافية. وبعبارة أخرى، فمنظومة اللغة والرموز الثقافية هي بيت القصيد في تشكيل صلب جوهر هوية الإنسان.

خامسا- يلخص الرسم التالي مركزية اللغة والرموز الثقافية في عمق هوية الإنسان، فيعطي بذلك مشروعية قوية لفكرة الباحث القائلة في صفحات هذا البحث بأن **الإنسان كائن لغوي رموزي ثقافي** بالطبع. وتنسجم هذه الرؤية مع مقولة مدرسة **التفاعل الرمزي** *Symbolic Interaction*.

(Manis & Meltzer 1968).

الرسم ١

٥- الإنسان مزدوج الطبيعة ٣- سيادة الإنسان في العالم



١- جسم الإنسان بطيء النمو ٢- طول عمر الإنسان

غياب الشجرة وحضور فروعها في العلوم الاجتماعية :

يتضح من مقولة الباحث (الإنسان كائن لغوي ثقافي بالطبع) المطروحة في الصفحات السابقة أنها تنتمي إلى ما يسمى عند علماء الاجتماع الثقافيّين cultural sociologists «البرنامج القوي strong program» لا «البرنامج الضعيف weak program» في بحوثهم الميدانية (الإمبيريقية) وأطروحتهم النظرية. وبعبارة أخرى، فمنظومة اللغة والرموز الثقافية كان يجب أن تكون مركزية في أعمالهم الفكرية والميدانية في العلوم الاجتماعية. بذلك يكونون أصحاب «البرنامج القوي» كما يصطلح عليه رواد علم الاجتماع الثقافي اليوم في المجتمع الأمريكي على الخصوص. وهذا ما لم يكن موجوداً، باعتراف الباحثين الغربيين أنفسهم، في علم الاجتماع الغربي منذ بداياته الأولى. ومن ثمّ، يوصف الرواد المؤسسون لعلم الاجتماع الغربي بأنهم أصحاب «البرنامج الضعيف» كما تطلق على ذلك اليوم المدرسة الأمريكية لعلم الاجتماع الثقافي.

فعلماء الاجتماع الغربيون الأوائل المنظرون حول الثقافة مثل فيبر Weber ودوركهيم Durkheim وماركس Marx وبارسنز Parsons وميلس Mills

والشيوعيين والفاشييين وآخرين عُرفوا بأنهم كانوا أصحاب «برنامج ضعيف» بالنسبة لأهمية الثقافة في أعمالهم المنشورة. لقد أعطوا الثقافة/الرموز الثقافية أهمية صغيرة في تحاليلهم السوسيولوجية (831 Semashko, Daloz, Erdemir - 838 : 2006). كما أن المدرسة الفكرية Birmingham School وعالم الاجتماع بورديو Bourdieu والفيلسوف فوكو Foucault ونظرية إنتاج واستهلاك الثقافة لم يقوموا بأفضل من رواد علماء الاجتماع الغربيين: أي أنهم تبنوا كذلك «البرنامج الضعيف» في دراسة الثقافة. ولا يزال اتجاه «البرنامج الضعيف» هو المهيمن اليوم في الدراسات السوسيولوجية للثقافة رغم أن اتجاه «البرنامج القوي» لعلم الاجتماع الثقافي يلقي اهتماما متزايدا بين علماء الاجتماع منذ ميلاد ما يسمى «التحول الثقافي Cultural Turn» في أواخر التسعينيات من القرن الماضي (503: Wolff 1999). وهناك إجماع واسع بأن عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي كليفر جيرتس Clifford Geertz هو الذي انطلق على يديه «البرنامج القوي» لدراسة الثقافة. توجد مسلمان لهذا البرنامج تتمثلان في: ١- استقلالية الثقافية و ٢- الثقافة كنص للحياة الاجتماعية. وبعبارة أخرى، فالثقافة هي النص الداخلي (الخفي) للحياة الاجتماعية. ومع الأسف فهذا مالا نجده في المدارس الفكرية و النظريات الحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة. فالماركسية والبنوية الوظيفية والتحليل النفسي والتفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism والمدرسة السلوكية Behaviorism كلها ذات أطروحات معرفية/ إيبستمولوجية ورؤى فكرية لا تجعل منظومة اللغة والرموز الثقافية أمرا مركزيا في صلب هوية الجنس البشري، كما تبرز ذلك مقولة هذا البحث. وحتى علم الأنثروبولوجيا المعاصر الذي يركز على دراسة الثقافة في المجتمعات البشرية، فإنه لا ينظر إلى الإنسان على أنه كائن لغوي رموزي ثقافي بالطبع، كما تؤكد مقولة صاحب الدراسة هنا وفي كتابات أخرى (الذواوي 1997، 2002، 2008، Dhaouadi 2002). ومن ثم، غاب مصطلح الإنسان اللغوي الثقافي Homo Linguistico-Culturus في أدبيات العلوم الاجتماعية المعاصرة. وفي مقابل ذلك، ذهب علماء الاقتصاد وأصحاب الرؤية المادية للإنسان

إلى وصف طبيعة هذا الأخير بأنه كائن اقتصادي (Homo Oeconomicus). أما علماء السياسة والمهتمون بدراسة ميل البشر إلى الانشغال بأمور السياسة فقد أطلقوا عليه مصطلح كائن سياسي (Homo Politicus). والإنسان عند علماء الاجتماع هو كائن اجتماعي (Homo Sociologus). و(Dahrendorf 1974) وكما وقعت الإشارة من قبل، فرغم تركيز علماء الأنثروبولوجيا المعاصرة على دراسة الثقافة لدى الإنسان والمجتمع، فإنهم لم يستعملوا مثل زملائهم مصطلحا مشتقا من كلمة الثقافة ليعرفوا الإنسان على أنه كائن ثقافي (Homo Culturus) في المقام الأول. إن هذا التهميش لأهمية منظومة اللغة والرموز الثقافية ودورها المركزي والحاسم في المساعدة على الفهم والتفسير للظواهر في دنيا البشر هو تهميش يضر بمصداقية فكر العلوم الاجتماعية. إذ كيف ينتظر - والحال على ما هي عليه - أن يكون فهم وتفسير تلك العلوم للظواهر السلوكية البشرية متماسكين على المستويين النظري والميداني؟ يمثل ذلك التهميش فقداننا كبيرا لدى الباحثين والعلماء في العلوم الاجتماعية للقيام بجدية بالبحث الأساسي Basic Research الذي يمس في هاته الحالة منظومة اللغة والرموز الثقافية التي تحتل مركزية هوية الإنسان والمجتمع، كما وقع بيان ذلك. وبغياب البحث الأساسي أو تهميشه في دراسة الإنسان ككائن لغوي ثقافي بالطبع، فإنه يصعب الاطمئنان على مصداقية الرؤى المعرفية / العلمية والنتائج الميدانية التي تتوصل إليها العلوم الاجتماعية الحديثة. إذ هي علوم لم تعتن أكثر بالأهم (منظومة اللغة والرموز الثقافية) في كينونة هوية الإنسان بل هي أعطت جل اهتمامها إلى جوانب أقل مركزية في هوية الإنسان، مثل الإنسان الاقتصادي وسياسي واجتماعي... إذ يحتل البعض منها مجرد بُعد هامشي في هوية الكائن البشري. وما كان لذلك البعد أن يوجد أصلا دون حضور اللغة والرموز الثقافية في صلب هوية الإنسان. وبعبارة أخرى، يجوز وصف فكر تلك العلوم بأنه فكر أعطى أولوية اهتمامه إلى ما يقترب من المهم بدلا عن إعطائه بالكامل إلى الجانب الأهم في هوية الإنسان ومجتمعه، وهي منظومة اللغة والرموز الثقافية (الذواوي ٢٠٠٦: ٢٨). وهكذا يجوز القول بأن غفلة رواد العلوم

الاجتماعية الحديثة عن إعطاء الصدارة لمنظومة اللغة والرموز الثقافية في هوية الإنسان يشبه عملية **تغيب الشجرة** والاختصار عن إحضار فروعها فقط. إذ إن وصف الإنسان بأنه اجتماعي واقتصادي وسياسي أورقمي (Compiègne 2011) l'Homo Numericus كما ظهر أخيراً، لا يمكن رؤيته وتجسمه كحقيقة ميدانية بدون حضور منظومة اللغة والرموز الثقافية في صلب هوية الإنسان (الحاج 1967 : 26، 121 : Compiègne 2008). وهذا ما يفسر غياب وصف العلماء والباحثين في العلوم الاجتماعية للحيوانات بتلك الصفات البشرية الفرعية (اقتصادي وسياسي و اجتماعي) التي تستمد أصولها من شجرة منظومة اللغة والرموز الثقافية التي يتميز بها الجنس البشري.

ندرة بحث الموضوع في الأدبيات العربية والغربية :

واعتماداً على فقدان النظر إلى الإنسان على أنه كائن لغوي ثقافي بالطبع في العلوم الاجتماعية الغربية، كما رأينا، فإنه لا ينتظر من هذه العلوم أن يكون لها رؤية معرفية/إيبستيمولوجية/فكرية تعطي أولوية لعلاقة الارتباط correlation القوية بين اللغة وهوية الإنسان. أي أنه لايجوز الحديث عن هوية الإنسان دون حضور اللغة في شكلها المنطوق على الأقل. فهذا الغياب العام/المكرو macro للغة كمحدد متميز لهوية الإنسان يضعف من احتمال ربط اللغة بالهوية لدى تلك العلوم في المجالات المحدودة/الميكرو micro كما هو الحال في هذا البحث الذي يدرس علاقة تأثير استعمال اللغة الفرنسية على الهوية العربية للشعب التونسي.

ومن ثم، فلا تكاد توجد أدبيات غربية حديثة في العلوم الاجتماعية تعتني بدراسة موضوع علاقة اللغات بالهويات لدى الشعوب، ناهيك عن وجود دراسات عن الهويات وتأثير اللغات الأجنبية فيها. وكما وقع ذكره، فإن رؤية تلك العلوم لا تجعل من الناحية الإيبستيمولوجية من اللغة أهم عنصر في تشكيل هوية الإنسان ككائن فريد كما يؤكد على ذلك منظور هذا البحث. ومن هنا، لا يُنتظر فكراً ومنهجياً من

العاملين في هذه العلوم الاجتماعية أن يولوا اهتماما يذكر لدراسة العلاقة بين اللغة/ اللغات وهوية الناس والمجتمعات. فعلى سبيل المثال، فإن بعض الكتب والمراجع القيمة المهمة بدراسة الازدواجيات اللغوية في المجتمعات المعاصرة لا تتحدث عن قضية الارتباط بين اللغات والهويات، بينما تمدنا بتفاصيل كثيرة ذات علاقة بالازدواجيات اللغوية. فكتاب جروسجان يركز كل اهتمامه على دراسة (الحياة بلغتين كمقدمة للازدواجية اللغوية) كعنوان لكتابه (Grosjean 1982). يتعرض المؤلف إلى مسائل عديدة مرتبطة بالازدواجيات اللغوية مثل تأثير هذه الأخيرة على الأطفال وعلى المزج اللغوي وأخطار الازدواجيات اللغوية على اللغات الوطنية. لكن فصول الكتاب تخلو من ذكر ومناقشة علاقات الهويات باللغات في المجتمعات التي درسها صاحب الكتاب. ويتبنى بهذا الصدد نفس الموقف مرجعان آخران نُشرا حديثا في عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩. فالمشرفون على إصدار هذين العاملين الفكريين والأكاديميين المهمين حول الازدواجيات اللغوية لا يخصصون أيا من الفصول العديدة للحديث ودراسة ظاهرة العلاقة بين اللغات والهويات في المجتمعات البشرية الحديثة (Coulmas 2008, Kroll & Groot 2009). إذن، فإنه ليس من المبالغة القول بأن تلك الأدبيات فقيرة عموما في القديم والحديث في دراسة موضوع هذا البحث: علاقة اللغة بالهوية. وكما أكد صاحب هذه الدراسة من قبل، بأن هذا الأمر يعود في جانب منه، على الأقل، إلى الإطار الفكري الإيبستيمولوجي الكبير للعلوم الاجتماعية الغربية المعاصرة التي لا تنظر في المقام الأول إلى هوية الإنسان على أنها هوية لغوية ثقافية، بل هي طالما تنظر إلى هويته على أنها اقتصادية أو سياسة أو اجتماعية أو رقمية كما رأينا سابقا.

أما بالنسبة لدراسة العلاقة بين اللغة والهوية في أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية العربية، فالوضع ليس أفضل مما رأيناه في الأدبيات الغربية. فعلى سبيل المثال، إن عالم الاجتماع المصري الشهير علي عبد الواحد وافي الذي ألف

أكثر من كتاب حول اللغة لا يتطرق إلى موضوع اللغة والهوية (وافي ١٩٠١، ١٩٤٦) كما أن اللساني المغربي المعروف عبد القادر الفاسي الفهري لا يكاد يذكر شيئاً عن العلاقة بين اللغة العربية والهوية العربية في المغرب (الفهري ٢٠٠٥: ٦١ - ٦٢). من ناحية أخرى، تفيد منشورات مركز دراسات الوحدة العربية أن هناك غياباً شبه كامل لطرح مسألة العلاقة بين اللغة العربية والهوية العربية (اللغة العربية والوعي القومي ١٩٨٤، اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل ٢٠٠٥ وفهرس مجلة المستقبل العربي ٢٠٠٣). ومن ثم، فهناك مشروعية كبيرة وملحة لردم هذه الفجوة المعرفية بما سينتج عن الحفر العلمي في هذا البحث في قضية العلاقة بين تأثير الحضور القوي للغة الفرنسية في المجتمع التونسي المعاصر وبين انتسابه إلى الهوية العربية.

القسم الثاني

اللغات وقضية الهوية في المجتمع التونسي وغيره

أضواء فكرية على علاقة الهويات باللغات :

وكما رأينا، تركز هذه الدراسة على ملاحظات وأسس فكرية نظرية حول علاقة اللغة بمسألة الهوية لدى الإنسان كإنسان. ولمحاولة القرب من التطبيق الميداني للإطار النظري المطروح في القسم السابق يود الباحث ذكر بعض الملاحظات حول علاقة اللغات بهويات الأفراد والمجتمعات، والتي يمكن إيجازها فيما يأتي:

١ - تعتبر اللغات المختلفة للأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب محددًا بارزًا للهويات الفردية والجماعية المتنوعة التي تعرفها القارات الخمس.

٢ - يتجلى بامتياز ثقل عامل اللغات في تحديد الهويات في تلك الشعوب والمجتمعات التي توجد فيها أكثر من لغة. فعلى سبيل المثال، توجد لغتان رسميتان في المجتمع الكندي، وهما اللغتان الإنجليزية والفرنسية. كما توجد لغتان رئيسيتان في المجتمع البلجيكي، وهما الفلندية والفرنسية. أما في المجتمع العراقي فاللغتان الرئيسيتان هما العربية والكردية. وتعتبر اللغتان العربية والأمازيغية اللغتين الوطنيتين في المجتمعين الجزائري والمغربي. يلاحظ أن اللغات المحلية الخاصة في هذه المجتمعات المزدوجة اللغة هي التي تحدد أكثر هويتهم. فسكان مقاطعة كيبك بكندا يعرفون هويتهم في المقام الأول بلغتهم الفرنسية، وكذلك الشأن لدى أكراد العراق الأمر الذي جعل الكيباكين والأكراد ينادون حتى بالانفصال السياسي عن مجتمعيهما الكبيرين: كندا والعراق (Clement, Landry 1984: 293-313, 337), (Leclerc 1986).

٣ - ليست اللغة العامل الوحيد في تحديد هويات الأفراد والجماعات والمجتمعات. فالدين واللون والعرق، كما رأينا في مقدمة هذا البحث، هي أيضا عوامل محددة

الهويات. لكن تلعب اللغة المشتركة بين الناس دورا حاسما في خلق هوية جماعية في مجتمع ينتمي أفراد وفئاته إلى ديانات وأعراق وألوان مختلفة.

٤ - إن أهمية اللغات في إنشاء الهويات في الحالات الثلاث السابقة الذكر تشير إلى أن اللغات الأصلية/المحلية، وليست اللغات الأجنبية الوافدة لتلك المجتمعات، هي المحددة لهويات الأفراد والمجتمعات. ومن هنا، تطرح مسألة تأثير اللغة/اللغات الأجنبية على قضية الهويات في المجتمعات المستقبلية والمستعملة للغات الأجنبية. يتم مجيء لغة/لغات أجنبية إلى المجتمعات المعاصرة كنتيجة للاستعمار أو الهيمنة الخارجية؛ مما قد يؤدي إلى تنافس بين اللغة/اللغات الوطنية/المحلية واللغة/اللغات الأجنبية. وهذا ما يشهد عليه دخول اللغة الفرنسية في المجتمعات المغاربية منذ احتلال فرنسا للبلاد الجزائرية في مطلع القرن التاسع عشر. فالحضور القوي للغة الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا أثناء الاحتلال الفرنسي، وفي عهد الاستقلال، يمثل منافسة شديدة للغات الوطنية لتلك الشعوب: اللغة العربية واللغة الأمازيغية. ونظرا لأن الفرنسية ليست باللغة الوطنية/المحلية في مجتمعات المغرب العربي، فإن وجودها الواسع في هاته المجتمعات لم يجعل الأغلبية الساحقة من سكانها يرغبون في الانتماء إلى الهوية الفرنسية. ولكن هذا لا يعني أن ليس للغة الفرنسية تأثيرات أخرى في هاته المجتمعات وفي طليعتها التأثير السلبي على علاقة الجزائريين والتونسيين والمغاربة والموريتانيين باللغة العربية كما سنرى ذلك في دراسة حالة المجتمع التونسي في هذا البحث. وبعبارة أخرى، يمكن القول بأن التأثير السلبي على اللغة العربية والمتمثل في إقصائها من الاستعمال في عدة ميادين، والنظر إليها بالدونية عند كثير من سكان المغرب العربي قد يؤدي عند الكثيرين إلى تشويش وإرباك بالنسبة للانتساب الواضح والقوي للهوية العربية، وذلك بسبب العلاقة الوثيقة بين اللغة والهوية، كما سبق ذكر ذلك. وهذا ما تشهده الساحة التونسية بعد الثورة. إذ

توجد أقلية تونسية فرونكفونية لغة وثقافة تشكك في انتساب الشعب التونسي إلى الهوية العربية الإسلامية، وهو ما يشير إلى أنها تشكو من أعراض أزمة هوية لغوية ثقافية.

وللقرب أكثر من المعطيات حول علاقة اللغات بهويات الأفراد والمجتمعات يمكن ذكر بعض الأمثلة المحسوسة. تشير الملاحظات الميدانية وبعض البحوث إلى وجود علاقة وثيقة بين اللغات وهويات الشعوب. يتضح ذلك، مثلاً، في مجتمعات الاتحاد الأوروبي التي تتحدث عدة لغات وطنية (Kraus 2008). فكل شعب من تلك الشعوب يعرف هويته بواسطة لغته الوطنية. فالألمان والإسبان والإنجليز والفرنسيون والإيطاليون يعبرون عن هوياتهم الجماعية عبر لغاتهم الوطنية التي يتحدثونها، ويتعاملون بها في الكتابة. فنجد أن اللغات الوطنية في تلك المجتمعات هي لغات التعليم في مراحلها المختلفة مما يعزز العلاقة الوثيقة بين اللغات الوطنية وهويات الشعوب الأوروبية المتنوعة. أي أن التدريس باللغات الوطنية في كل مراحل التعليم يعتبر أمراً طبيعياً وواجباً بالنسبة للمحافظة على تأصيل طبيعي للعلاقة بين اللغات الوطنية والهويات في تلك المجتمعات. وهكذا، يجوز وصف سياسة الاقتصار على التعليم باللغات الوطنية فقط بأنها سياسة طبيعة وأصيلة وذات مشروعية قوية لدى المجتمعات صاحبة السيادة اللغوية الكاملة.

أما الوضع في بعض المجتمعات المعاصرة من العالم الثالث على الخصوص ومن ضمنها المجتمعات العربية، فإن التعليم في بعض مراحلها أوكّلها لا يتم باللغات الوطنية بل بلغات أجنبية طالما تكون لغات المستعمر القديم أو لغات القوى العظمى صاحبة الهيمنة الواسعة في العصر الحديث، وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا، تطرح مسألة تأثير التدريس باللغات الأجنبية على هويات الشعوب. والمجتمع التونسي الحديث مثال على ذلك. فهو يدرّس العلوم باللغة الفرنسية فقط ابتداءً من مرحلة التعليم الثانوي، ويستعملها أيضاً بطريقة واسعة في عدة قطاعات اجتماعية ومؤسسات وطنية، وفي الشؤون الشخصية لكثير من

التونسيات والتونسيين. ومن ثم، فالبحث في هذه الدراسة لا يقتصر فحسب على تعرف تأثير اللغة الفرنسية كلفة تعليم على الهوية العربية في المجتمع التونسي بل يهتم بالتوازي بدراسة **تأثير الانتشار الواسع للغة الفرنسية في هذا المجتمع** على مسألة **الهوية العربية** فيه. لقد سبقت الإشارة أعلاه في الملاحظة رقم ٤ أن حضور اللغات الأجنبية/غير الوطنية/المحلية في المجتمعات لا يؤثر كثيرا على هويات أغلب المواطنين فيها. وهذا ما سوف يتجلى في دراسة المجتمع التونسي في هذا القسم، وفي القسم الثالث من هذا البحث.

فاعتمادا على ما ورد في الملاحظات السابقة، وفي الإطار الفكري قبله في القسم الأول من البحث حول هوية الإنسان اللغوية، يطرح صاحب الدراسة الآن مسألة انتشار اللغة الفرنسية في المجتمع التونسي وقضية الهوية فيه. وبذلك يجمع موضوع هذا البحث بين الفكر النظري والميداني الذي يركز على مجتمع ما. فتدرس صفحات البحث ظاهرة الانتشار الواسع للغة الفرنسية في المجتمع التونسي، ومدى تأثير ذلك على كل من اللغة العربية والهوية العربية في هذا المجتمع. فمنهجية العلوم الاجتماعية ترى أن مجال هذه الظاهرة أكثر قابلية للاختبار العلمي. إذ يصعب على رؤية تلك العلوم النظر إلى لغة التعليم/التدريس كمتغير/عامل مستقل في التأثير على مسألة الهوية (أنجرس ٢٠٠٤ : ١٦٨ - ١٧٢). ففي دراسته في هذا البحث لأثر التدريس بغير اللغة العربية (اللغة الفرنسية) على الهوية العربية بالمجتمع التونسي وعلى اللغة العربية نفسها، يرى الباحث أنه يمكن وصف العلاقة بين لغة التعليم والهوية بأنها **علاقة مركبة** تتكون من مستويين على الأقل: أ - تأثير لغة التدريس الفرنسية على علاقة الفرد التونسي مع اللغة العربية/الوطنية. ب - احتمال تأثير الانتساب للهوية العربية بسبب حضور اللغة الأجنبية، وذلك لما للعلاقة القوية بين اللغة الوطنية/المحلية والهوية كما رأينا في الحالة الأوروبية وغيرها. ويكفي ذكر ثلاثة أمثلة لتوضيح الأمر: ١ - فاحتمال تأثير التعليم باللغة الفرنسية على الهوية العربية للتونسيين في مجتمعهم مرتبط بعوامل أخرى مثل زمن التعليم بتلك اللغة:

مراحل الطفولة أم المراهقة أم الكهولة أم البعض منها أم هي جميعا. ٢- أما عامل ما يسميه صاحب الدراسة **المناعة اللغوية الثقافية العربية** فهي تؤثر إيجابيا على الانتساب القوي للتونسيين إلى الهوية العربية الإسلامية. **فخريجو التعليم الزيتوني القديم** يتمتعون بتلك المناعة بسبب أن اللغة العربية هي لغة التعليم في كل مراحلها. فهم يتصفون بتمسك متين بهويتهم العربية الإسلامية حتى إذا درسوا باللغة الفرنسية في الجامعات داخل أو خارج البلاد التونسية، وذلك بعد نهاية تعليمهم الثانوي المعرب بالكامل. ٣- تفيد الملاحظات الميدانية في المجتمع التونسي المعاصر أن تدريس التونسيات والتونسيين باللغة الفرنسية في عهد الاحتلال قاد أغلبية هؤلاء إلى تفضيل استعمال اللغة الفرنسية على اللغة العربية التي يتقنونها، كما هو الشأن لدى **خريجي المدرسة الصادقية** المتزنة الازدواجية اللغوية التي سوف نتعرف لاحقا على تفاصيل أكثر حولها في متن هذا القسم من البحث. يتطلب الطرح العلمي هنا إضافة أخذ **عامل الاستعمار** بعين الاعتبار إلى جانب عامل تدريسهم باللغة الفرنسية في تفسير تفضيل هؤلاء التونسيين للغة المستعمر. إذن، فلا يجوز وفق رؤية المنهجية العلمية المطروحة هنا النظر إلى التعليم باللغة الأم أو بلغة أجنبية كمتغير مستقل في التأثير على هويات الأفراد والمجتمعات.

الخريطة اللغوية للمجتمع التونسي :

تشير الإحصائيات اليوم إلى أن سكان البلاد التونسية يبلغون أكثر من عشرة ملايين بقليل. يقع استعمال أربعة وسائل لغوية في المجتمع التونسي، وهي: اللغة العربية الفصحى، والعامية التونسية (الفرنكوأراب = عربية ممزوجة بعدد كبير من الكلمات والجميل الفرنسية)، واللغة الفرنسية، واللغة الأمازيغية؛ فالعامية التونسية هي الأكثر استعمالا بين كل فئات الشعب التونسي بينما تهيمن اللغة الفرنسية في مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي في تدريس ما يسمى العلوم الصحيحة مثل الطب والرياضيات والبيولوجيا/علم الحياة. وتسيطر كذلك الفرنسية على كتابة البحوث وتأليف الكتب في تلك العلوم. أما اللغة العربية الفصحى فيقع استعمالها في الشؤون

الدينية، وبعض القطاعات الإدارية وفي التدريس في كل مقررات مراحل التعليم الابتدائية والاعدادية وفي كثير من مقررات العلوم الاجتماعية والإنسانية بالتعليم العالي/الجامعي. وأخيرا تتحدث أقلية صغيرة جدا من التونسيين اللغة الأمازيغية/البربرية خاصة في الجنوب التونسي و تفيد الإحصائيات أن المتحدثين بهذه اللغة يمثلون أقل من واحد بالمئة من سكان القطر التونسي. ووقع إنشاء جمعية الحفاظ على الثقافة الأمازيغية بما فيها اللغة في تونس ما بعد الثورة.

وبناء على ما سبق ذكره، فالمجتمع التونسي هو عموما **مجتمع متجانس** على مستوى استعماله في المقام الأول للغة العربية في شكلها الفصحى والعامي رغم حضور الفرنسية الكبير. وهذا خلافا للوضع اللغوي في كل من الجزائر والمغرب حيث يمثل المتحدثون باللغة الأمازيغية أكثر من أربعين في المئة في الجزائر، وأكثر من خمسين في المئة بالمغرب. يفسر بعض المؤرخين هيمنة اللغة العربية في القطر التونسي بسبب أن عدد السكان ذوي الأصل العربي بعد الفتوحات الإسلامية بالبلاد التونسية كان متفوقا على غيره من السكان من أصول أخرى (عبد الوهاب ١٩٦٤ : ٢٥-٣٦).

العلاقة النفسية والاجتماعية بين التونسيات والتونسيين واللغة العربية :

إن دراسة الباحث لعلاقة اللغة بالهوية في المجتمع التونسي تستعمل أدوات وأساليب كيفية في التحليل والتفسير للمسائل المثارة في متن هذه الدراسة، وتركز في المقام الأول على **تشخيص العلاقة النفسية والاجتماعية** بين مواطني المجتمع التونسي واللغة العربية. فقد سمح له الاهتمام بالموضوع اللغوي بالمجتمع التونسي الحديث منذ الربع الأخير من القرن العشرين **بإنشاء/بابتكار مجموعة من المفاهيم** التي تصلح للفهم والتفسير، والتحليل للظواهر اللغوية، وما يرتبط بها في هذا المجتمع. ويمكن اعتبار هذه المفاهيم الجديدة بأنها ذات طبيعة أصيلة؛ لأنها مستلة مباشرة من واقع المجتمع التونسي. يقتصر الباحث هنا على التعريف بأربعة منها يمكن استعمالها في البحث في المسألة اللغوية والهوية بالمجتمع التونسي: التخلف الآخر، الازدواجية اللغوية الأمانة، التعريب النفسي والازدواجية اللغوية الأنثوية.

لقد تبلورت صياغته الإمبيريقية لمفهوم «التخلف الآخر» (الذوايدي ٢٠٠٢) من خلال اعتبار هذا المفهوم متكونا من معلمين اثنين من التخلف: أ- التخلف الثقافي، ب- التخلف النفسي. وللتخلف الثقافي بدوره ثلاثة ملامح:

١ - التخلف اللغوي الذي يتمثل عادة في محدودية استعمال لغة المجتمع الوطنية؛ وذلك لانتشار استعمال لغة أجنبية محلها في كثير من الميادين خاصة العصرية منها. إن منافسة اللغة الفرنسية للعربية بمجتمعات المغرب العربي مثال على ذلك.

٢ - التخلف المعرفي/العلمي الذي يمس ما يمكن تسميته بالزاد المعرفي/العلمي الوطني/القومي (في العلوم الدقيقة وفي المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية) لمجتمعات الوطن العربي ومجتمعات العالم الثالث. ففي العصر الحديث أصبحت هذه المجتمعات تعتمد إلى حد كبير على الزاد المعرفي/العلمي الغربي في كل تلك المعارف والعلوم.

٣ - إن التخلف القيمي الذي تعرضت له قيم تلك المجتمعات عبر احتكاكها في العصر الحديث بالغرب الغالب سمح بانتشار قيمه بين هذه الشعوب المغلوبة خاصة قيم التحديث والعصرية. ومن ثم، تلاشت بعض القيم التقليدية الأصيلة، من جهة، ودخلت، من ناحية أخرى، بعض القيم في صراع مع القيم الغربية الغازية. ومن هنا جاء تصوّر صاحب الدراسة للتخلف (إفقار) على مستوى القيم الأصيلة الوطنية/القومية لهذه المجتمعات.

وباختصار، فإن هذه الأصناف الثلاثة للتخلف الثقافي تمثل في النهاية إفقارا (تخلفا) لهذه العناصر الثلاثة وهي اللغة والمعرفة الثقافية والعلمية والقيم الثقافية. وكل هذه العناصر هي مكونات مهمة جدا لمنظومة ثقافات مجتمعات العالم الثالث بما فيها المجتمعات العربية.

إن هذه الملامح الثلاث للتخلف الثقافي تحدث بدورها ظاهرة ما أطلق عليه الباحث التخلف النفسي الذي يتجلى في شكلين:

١ - ظاهرة الشعور بمركب النقص لدى شعوب العالم الثالث إزاء المجتمعات الغربية. كما يظهر ذلك في بعض السلوكات اللغوية التونسية إزاء استعمال اللغة العربية. فالأغلبية الساحقة من التونسيين اليوم لا تستعمل حروفا عربية لكتابة صكوكها/شيكاتها المصرفية لشعورها أن كتابتها باللغة العربية رمز للتخلف. ويرجع هذا الأمر في نظرصاحب الدراسة إلى تأثيرات ملمحي (١و٢) من التخلف الثقافي المشار إليهما سابقا.

٢ - إن النوع الثالث «٣» من التخلف الثقافي (التخلف على مستوى القيم) المذكور آنفا يمكن أن يؤدي في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث إلى ما أطلق عليه علماء الاجتماع المعاصرون الشخصية المضطربة (Disorganized Personality) التي يمكن أن تبدو عليها أعراض نفسية غير سليمة. يوجز الرسم التالي ما ورد حول هذا المفهوم الجديد: التخلف الآخر:

الرسم ٢

التخلف الثقافي - النفسي (التخلف الآخر)			
(أ) ملامح التخلف الثقافي ←	١- التخلف اللغوي ← - التخلف المعرفي - العلمي ←	١- الشعور بمركب النقص إزاء الغالب → (الغرب)	(ب) ملامح التخلف النفسي →
	- التخلف على مستوى القيم ←	الشخصية المضطربة وأعراض ثقافية ونفسية غير سليمة →	

أما مفهوم **الازدواجية اللغوية الأمانة** فيعني تلك الازدواجية اللغوية التي لا تكون فيها اللغة الأم/الوطنية المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات مزدوجات ومزدوجي اللغة. أي أن اللغة الوطنية لا تحتل المرتبة الأولى عند هؤلاء على المستوى العاطفي والنفسي، وعلى المستوى الذهني والفكري، وعلى مستوى الممارسة والاستعمال. فإن أصحاب الازدواجية اللغوية الأمانة تجددهم غير متحمسين كثيراً للذود عن لغتهم الوطنية وغير مبالين إزاء عدم استعمالها في شؤونهم الشخصية وفي ما بينهم في أسرهم واجتماعاتهم ومؤسساتهم بحيث تصبح عندهم في حالات عديدة لغة ثانية أو ثالثة.

يجوز بدرجات مختلفة تطبيق هذا المفهوم في المجتمع التونسي المعاصر على خريجي مدارس البعثات الفرنسية في عهدي الاحتلال والاستقلال والمدرسة الصادقية، والمدارس والجامعات التونسية لفترة ما بعد الاستقلال. فالملاحظات الميدانية المتكررة، وفي ظروف مختلفة للسلوكات اللغوية لمعظم هؤلاء الخريجات التونسيات والخريجين التونسيين تفيد، منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا، أن اللغة العربية/الوطنية لا تتمتع بعفوية وحماس لديهن ولديهم بالمكانة الأولى على المستويات الثلاثة المشار إليها سابقاً. وهكذا يتضح أن ظاهرة الازدواجية اللغوية ليست كلها خيراً كما تعتقد أغلبية التونسيات والتونسيين المثقفين والمتعلمين على الخصوص، كما سنرى في بقية صفحات هذه الدراسة.

أما **التعريب النفسي** فيتمثل في أن اللغة العربية لم تكسب بعد عند أغلب هؤلاء علاقة حميمية حقيقية تجعلها عندهم صاحبة المكانة الأولى في قلوبهم بحيث يلجأون عفويا وبثمّس وافتخار إلى استعمالها في شؤون حياتهم الشخصية والاجتماعية قبل أي لغة أخرى. فمعظم التونسيات والتونسيين لم يطبعوا بعد علاقاتهم مع اللغة العربية لا على المستوى النفسي ولا في المجال الاجتماعي. يلاحظ ذلك في موقف أغلبيتهم الناقص التحمس والغيرة على اللغة العربية، من جهة، وموقف الاحتقار لها والسخرية منها عند البعض، من جهة أخرى. ويجوز اليوم وصف الموقف

العام للتونسيات والتونسيين المتعلمين والمتقنين على الخصوص من اللغة العربية بأنه موقف لا يزال بعد الثورة دون مستوى التطبيع الكامل نفسيا واجتماعيا.

وبالنسبة لعاملي الجنس وجندر/النوع الجنسي، تفيد دراسات الباحث والملاحظات العامة أن النساء التونسيات المتعلمات والمتقنات خصوصا يملن في كلامهن أكثر من نظرائهن من الرجال التونسيين إلى استعمال **النبرة الباريسية**، ورصيد أكبر من الكلمات والعبارات الفرنسية في حديثهن. وهذا ما يسميه صاحب البحث **الازدواجية اللغوية الأنثوية** التي لا يكاد يتطرق إليها الباحثون التونسيون وغيرهم في المغرب العربي رغم دراسة هذه الظاهرة في المجتمعات الغربية (Holmes & Meyerhoff 2005). يجوز اليوم تصنيف لغة الأم عند النساء التونسيات إلى ثلاثة أنواع: ١- العامية التونسية العربية النقية التي لا تستعمل إلا المفردات العربية. وهي ظاهرة نادرة بين معظم التونسيات. ٢- العامية التونسية التي تحتوي على عدد كبير من الكلمات والجمل الفرنسية. ومن ثمّ يمكن تسميتها **بالفرنكوأراب العامية المتداولة** في كامل المجتمع التونسي. ٣- **الفرنسية كلغة أم** في المقام الأول لعدد التونسيات. إنها ظاهرة موجودة بدون شك بعد أكثر من خمسة عقود من الاستقلال، وربما تكون ظاهرة أكثر انتشارا من الصنف الأول من العامية التونسية المشار إليها. وهكذا يتضح أن اللغة الأم عند الأغلبية الساحقة من التونسيات ليست العامية التونسية العربية النقية وإنما هي **الفرنكوأراب**. يبرز الجزء الثالث من هذا البحث معالم أخرى للازدواجية اللغوية لدى المرأة التونسية ذات علاقة بالهوية العربية.

اللغة الفرنسية غنيمة :

ولكي يحلل صاحبُ البحث أكثر وضع اللغة العربية في المجتمع التونسي، يدعونا لتعرف فكر كاتب ياسين بهذا الصدد. من المعروف أن عبارة «**اللغة الفرنسية غنيمة حرب**» قد استعملها هذا المفكر الجزائري الذي ولد في ١٩٢٩ بمدينة قسنطينة بالجزائر وتوفي سنة ١٩٨٩ بمدينة جرونوبل بفرنسا. لقد كتب معظم

مؤلفاته بلغة موليار، وبعضها بالعامية الجزائرية في آخر حياته. وكما هو منتظر، يُردد الكثير من المثقفين والمتعلمين الفرنكوفونيين في المجتمعات المغاربية قول ياسين هذا. أي بأن اللغة الفرنسية هي عبارة عن غنيمة كسبتها تلك المجتمعات من المستعمر الفرنسي، ويجب أوينبغي، إذن، المحافظة عليها.

هل الفرنسية غنيمة للشعب التونسي؟

لنفحص مدى مصداقية أوبطالان موقف المنادين المغاربة بشعار اللغة الفرنسية على أنها «غنيمة حرب» كما جاء في القول المشهور لكاتب ياسين: أي أنها مكسب مجاني أتى بدون مشقة، وليس فيه ضرر وخسارة للمجتمعات المغاربية المرحبة بتبني مثل ذلك الشعار. يود صاحب الدراسة الكشف هنا عن معالم الخسارة والضرر للغات الوطنية بسبب مجيء اللغات الأجنبية الدخيلة إلى المجتمعات البشرية. ونظرا لتركيز بؤرة البحث على المجتمع التونسي، فاختيار دراسة **جوانب الخسارة والضرر** التي تعرضت وتعرض لها **اللغة العربية** فيه أمر مشروع بحثيا بسبب دخول اللغة الفرنسية وهيمنتها في هذا المجتمع بعد مجيء الاحتلال الفرنسي للقطر التونسي في سنة ١٨٨١. وباستثناء ليبيا، يمكن تعميم نتائج هذا الجزء من البحث على بقية مجتمعات المغرب العربي: الجزائر والمغرب وموريتانيا. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن **الاستعمار الفرنسي**، مقارنة بنظيره الإنكليزي، يعطي أهمية كبرى **لنشر لغته وثقافتها** وتعليمهما لسكان المجتمعات التي يحتلها. ومن ثم، تأتي مشروعية تفسير ظاهرة التنافس الكبير الذي كسبت رهانه اللغة الفرنسية ضد اللغة العربية في عديد القطاعات بالمجتمع التونسي وغيره من المجتمعات المغاربية أثناء الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال (الفهري ٢٠٠٥، بوقمرة ١٩٨٥، الجمعية الجزائرية ٢٠٠٥).

حضور الفرنسية وخسارة العربية:

يركز الباحث هنا على بعض معالم التنافس الخطيرة بين اللغات في المجتمعات البشرية (وافي ١٩٥١: ٩٥، ١١٩) وهو ما طرحه ويطرحه بالتأكيد حضور اللغة الفرنسية على اللغة العربية في عهدي الاحتلال والاستقلال بالبلاد التونسية:

(أ) اللغة الفرنسية (اللغة الغنيمة كما يراها كاتب ياسين) هي اليوم لغة الاستعمال الأولى بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال لدى الكثير من التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم. لا يسمح هذا الواقع اللغوي التونسي بالقول إن اللغة الفرنسية هي مجرد غنيمة للمجتمع التونسي بريئة من السلبيات. لأن مجيء هذه اللغة أضر بوضع اللغة العربية بسبب منافسة اللغة الفرنسية لها ليس في عصر الاحتلال الفرنسي فقط، وإنما أيضا في عهد الاستقلال. بذلك خسرت اللغة العربية مكانتها الأولى (الذواوي ٢٠٠٨) في التعامل بين التونسيات والتونسيين وفي مؤسساتهم في مجالات لاتكاد تُحصى داخل المجتمع التونسي منذ تمركز الاستعمار الفرنسي به في نهاية القرن التاسع عشر في ١٨٨١.

(ب) إن الحضور القوي للغة الفرنسية في عهدي الاحتلال والاستقلال بالبلاد التونسية أدى إلى حالة من الاغتراب مع اللغة العربية خاصة لدى الكثير من التونسيات والتونسيين المثقفين والمتعلمين. وتتمثل حالة الاغتراب هذه في ضعف وجود علاقة حميمية بين هؤلاء ولغتهم الوطنية بحيث لا يكادون يعتزون بها، ويغارون عليها، ويدافعون عنها بطريقة عفوية ومتحمسة. يشبه هذا الشعور باغتراب الناس عن لغتهم الشعور باغتراب الناس عن وطنهم. وهذا التشابه ليس بالأمر الغريب، إذ اللغة هي أكبر المعالم المحددة لهوية الوطن، كما رأينا. ولذلك قيل إن اللغة هي الوطن. ومن ثم، فمن تسكنه في العمق لغة وطنه يسكنه وطنه في العمق أيضا في حله وترحاله داخل هذا الوطن وخارجه (اللغة العربية والوعي القومي ١٩٨٤ : ١٦٠٩). ومما لا يحتاج إلى برهان أن منافسة اللغة الفرنسية للغة العربية التي نتجت عنها حالة الاغتراب مع اللغة العربية بين العديد من التونسيات والتونسيين المثقفين والمتعلمين على الخصوص لاتعطي تأييدا مشروعا لشعار كاتب ياسين «اللغة الفرنسية غنيمة حرب». فحضور حالة الاغتراب للغة العربية بين أهلها بالمجتمع التونسي في

فترتي الاستعمار والاستقلال بسبب الحضور والانتشار الواسع لاستعمال اللغة الفرنسية يمثل بكل المقاييس الموضوعية **ضررا وخسارة للغة العربية**، اللغة الوطنية والرسمية للبلاد التونسية، والتي وقع تهميشها أو إقصاؤها بالكامل من الاستعمال في المجتمع التونسي أثناء الاحتلال الفرنسي، وبعد نيل الاستقلال في ١٩٥٦. ومن منظور علم اجتماع اللغة، فإن تلك الظروف الاستعمارية تفسر حصول ظاهرة الاغتراب بين المجتمع التونسي، واللغة العربية، وانتشار معالم التخلف الآخر فيه قبل الاستقلال وبعده وحتى عقب رياح الثورة في مطلع ٢٠١١.

(ت) إن وضع اللغة العربية المشار إليه في (أ) و (ب) يؤدي حتما إلى نتيجة ثالثة ليست في صالح شعار كاتب ياسين. فإعطاء اللغة الفرنسية المكانة الأولى أو الواسعة في الاستعمال والانتشار وحضور حالة الاغتراب مع اللغة العربية في المجتمع التونسي لدى عدة قطاعات وعند كثير من الأفراد والفئات الاجتماعية التونسية يدفعان بالضرورة اللغة العربية إلى حالة فقر في زادهما اللغوي. إذ اللغة كائن حي. فهي تستمد نبض حياتها وتطورها من عملية الاستعمال الكامل والشامل لها في مجتمعتها. وفي المقابل، يصيبها التراجع والجمود والتأخر، وحتى الاندثار إن هي أقصيت قليلا أو كثيرا أو بالكامل من فرصة الاستعمال الكامل في حلبة كل أنشطة المجتمع بأصنافها المختلفة. ومنه، فإن الحد من استعمال اللغة العربية بدرجات مختلفة بالمجتمع التونسي لصالح اللغة الفرنسية (الغنيمة) منذ مجيء الاستعمار الفرنسي في ١٨٨١ لا يمكن اعتباره **بالمقاييس النزيهة غنيمة**: أي مكسبا إيجابيا للغة العربية، لغة البلاد. إذ هو يمثل عامل تخلف للغة العربية. تلك هي المعادلة الصحيحة والدقيقة لفهم أحوال اللغات سلبا وإيجابا في مجتمعات الشرق والغرب، وفي طليعتها المجتمعات العربية المعاصرة.

(ث) هل يجوز، إذن، اعتبار اللغة الفرنسية غنيمة إذا أصبح استعمالها مصدراً لبث مركّبات النقص والشعور بالدونية إزاء استعمال اللغة العربية لدى المواطنين والمواطنين التونسيين؟ يكفي هنا ذكر مثال واحد لتجلى أعراض مركّبات النقص لدى التونسيات والتونسيين من استعمال اللغة العربية. يخل أكثر من ٩٥ في المئة من التونسيات والتونسيين اليوم من كتابة صكوكهم المصرفية/ شيكاتهم باللغة العربية. يعود ذلك في منظور علم الاجتماع إلى تأثير التنشئة الاجتماعية السلبية حول اللغة العربية التي يتلقاها ويتعلمها هؤلاء في مجتمعهم المتأثر بإيديولوجيا المستعمر الفرنسي، والنخب السياسية والثقافية التونسية المغتربة لغة وفكراً بعد الاستقلال. يساعد مفهوم التنشئة الاجتماعية السلبية على تفسير ظاهرة سخرية الأغلبية التونسية من الأقلية التونسية الصغيرة جداً التي لاتزال تكتب صكوكها وتمضيها باللسان العربي. فاستعمال اللغة الفرنسية في كتابة الصكوك يمثل بوابة لنشر وغرس مركّب النقص والشعور بالدونية في الشخصية القاعدية التونسية. وهكذا، يدحض هذا السلوك اللغوي المغترب عن اللغة العربية مقولة شعار كاتب ياسين «اللغة الفرنسية غنيمة حرب».

الفرنسية نعمة أم نقمة على اللغة العربية :

ولتفنيد مقولة كاتب ياسين أكثر وبيان معالم الخسارة لا الغنيمة للغة العربية بسبب مجيء اللغة الفرنسية إلى المجتمع التونسي، يمكن القيام بتعرف اتجاهات/ مواقف التونسيات والتونسيين اليوم كأفراد ونخب سياسية وثقافية، وجماعات ومؤسسات، وطبقات اجتماعية، من اللغة العربية، ثم تحليل انعكاسات تلك المواقف على شخصية التونسيات و التونسيين وثقافة مجتمعهم.

يوجد اليوم بين أغلبية التونسيات والتونسيين اتجاه/ موقف جماعي عام ينادي ويرحب بالتفتح على لغة وثقافة الآخر الغربي والفرنسي على الخصوص.

فيحتل التفتح على لغة فرنسا وثقافتها الصدارة. وكما بينت المعطيات السابقة، تفيد الملاحظات الميدانية لعلاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية بأن هذه الأخيرة لا تتمتع عموماً بالمكانة الأولى في قلوب وفي عقول وفي استعمالات الأغلبية منهم، وذلك بعد أكثر من خمسة عقود من الاستقلال. يرى علم النفس الاجتماعي أن مثل هذا الموقف الجماعي من اللغة الوطنية ليس بالموقف الطبيعي في الظروف العادية بين المجتمع ولغته. بينما كانت علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية علاقة طبيعية وحميمية قبل مجيء الاستعمار الفرنسي عام ١٨٨١. ومن ثم، فعلاقة الناس ومجتمعاتهم بلغاتهم ولغات الآخرين ليست بالأمر الثابت والمستقر بل هي تتأثر بعوامل خارجية وداخلية في المجتمعات البشرية. وهكذا يجوز القول وبكل مشروعية بأن الاتجاه/الموقف غير العادي المشوب بالسلبية عند الكثير من التونسيات والتونسيين اليوم من اللغة العربية هو وليد للاحتلال الفرنسي الذي بذل جهوداً كبيرة في نشر لغته في المجتمع التونسي المستعمر لإحلالها محل اللغة العربية قدر المستطاع. إن علاقة الغالب بالمغلوب ساعدت على غرس حالة الاغتراب بين التونسيات والتونسيين ولغتهم الوطنية، من جهة، وبث موقف التحقير للغة العربية والشعور بمركب النقص بينهم إزاء استعمال اللغة العربية أو الدفاع عنها، من جهة ثانية. وبالتأكيد ليس في ذلك من غنيمة للغة العربية في المجتمع التونسي المعاصر، كما يدعي كاتب ياسين.

إن حالة الاغتراب هذه التي نشرها المستعمر الفرنسي بين التونسيات والتونسيين ولغتهم الوطنية وجدت ظروفاً داخلية مناسبة ساعدت على بقائها لأكثر من نصف قرن بعد استقلال تونس. وكما وقعت الإشارة، تتمثل هذه الظروف في المقام الأول في موقف السلطة السياسية لفترة الاستقلال من الإرث اللغوي الثقافي الاستعماري الفرنسي. هناك مؤشرات عديدة تفيد أن القيادة السياسية البورقيلية للعقود الثلاثة الأولى من الاستقلال كانت ترحب باستمرار بقاء ذلك الإرث الاستعماري في المجتمع التونسي. أي أن تلك القيادة لاتكاد تعتبر

ذلك الإرث اللغوي الثقافي الفرنسي معلما من معالم الاستعمار. وبعبارة أخرى، فقد نادت القيادة البورقيبية بالتححر من الاحتلال الفرنسي السياسي والعسكري والفلاحي، فتحصلت تونس على ذلك، لكن هذه القيادة لم يُعرف عنها أنها دعت أو كانت متحمسة للتححر من الاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي. وبناء على ذلك، يجد المحلل لخطاب التونسيات والتونسيين في عهد الاستقلال غيابا كاملا لمفردات الاستقلال أو الجلاء اللغوي الثقافي. والناس، كما يقال، على دين ملوكهم. فإن النخب السياسية والثقافية والمتعلمة والطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة على الخصوص في عهد الاستقلال تبنت هي الأخرى موقفا/اتجاها جماعيا لا ينظر إلى الإرث اللغوي الثقافي الفرنسي على أنه ضرب من الاستعمار. وباستمرار هذا الموقف الجماعي بين معظم التونسيات والتونسيين إلى يومنا هذا، تُفهم وتُفسر أسباب استمرار حالة الاغتراب بين التونسيات والتونسيين واللغة العربية التي عمل ونجح المستعمر الفرنسي في غرسها في الشخصية القاعدية للتونسيات والتونسيين، وفي بنية مؤسسات مجتمعهم.

معالم اغتراب اللغة العربية في المجتمع التونسي :

فبمنهجية البحوث الميدانية في العلوم الاجتماعية، يمكن قياس حالة اغتراب التونسيات والتونسيين مع اللغة العربية بالمششرات الآتية :

- ١ - فقدان أضعف وجود شعور عفوي قوي ومتحمس بعد الاستقلال وبعد الثورة لصالح استعمال اللغة العربية لدى أغلبية التونسيات و التونسيين.
- ٢ - غياب اعتراض معظم التونسيات و التونسيين على كتابة شيكاتهم باللغة الفرنسية، من ناحية، وتعجبهم وسخريتهم ممن يكتبونها باللغة العربية، من ناحية أخرى.
- ٣ - تفيد الملاحظات أن قلة من التونسيات و التونسيين يقومون بتأبين موتاهم باللغة الفرنسية.
- ٤ - لا يكاد يشد انتباه أغلبية التونسيات والتونسيين غياب اللغة العربية في كتابة

اللافتات في المغازات وغيرها من الفضاءات العامة. ومن ثم، لا يكاد يحتج أحد على ذلك ويطالب بكتابة اللافتات باللغة العربية. تشير الملاحظة الميدانية أن الأغلبية الساحقة من ملايين التونسيات والتونسيين تلوذ بالصمت إزاء الدفاع عن اللغة العربية وجعل حضورها واجبا في كتابة اللافتات.

٥ - ضعف وجود علاقة ودية وحميمية بين معظم التونسيات والتونسيين ولغتهم العربية، أي أنه لا يوجد عند أغلبية التونسيات والتونسيين ما يسميه صاحب الدراسة التعريب النفسي الذي يمنح اللغة العربية المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات التونسيات والتونسيين. إن غياب التعريب النفسي هو السبب الرئيسي لضمور التعريب الكتابي والكلامي بين أغلبية التونسيات والتونسيين قبل الثورة وبعدها.

٦ - من المعروف جدا قبل الثورة وبعدها أن اللغة العربية ليس لها حضور أو هي لغة ثانية أو ثالثة في عدد كبير من الاجتماعات المهنية للتونسيات و التونسيين أو في الندوات العلمية التي تقام بالمجتمع التونسي دون حضور أجانب فيها.

٧ - وكما سيبيّن الباحث في القسم الثالث من هذه الدراسة، تفيد الملاحظة الميدانية للسلوك اللغوي بالمجتمع التونسي أن التونسيات هن أكثر انجذابا من الرجال لاستعمال اللغة الفرنسية. ومن ثمّ فإنه يُنتظر أن يكون تعاطفهن المتحمس لاستعمال اللغة العربية ضعيفا. وبغياب مثل ذلك التعاطف مع اللغة الأم (اللغة العربية) عند أغلبية الأمهات التونسيات تتضرر علاقة أطفالهن ومن ثمّ علاقة الأجيال التونسية الصاعدة باللغة العربية، لغتهم الوطنية.

٨ - تؤكد كل المؤشرات السابقة حول علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية وجود موقف / اتجاه جماعي يشوبه التحقير لديهم إزاء اللغة العربية. يعتبر علم النفس الاجتماعي أن مثل ذلك الموقف هو بوابة واسعة لبث وغرس جذور ومعالّم أمراض مركبات النقص عندهم.

٩ - كما رأينا، فإن دراسات العلوم الاجتماعية تُجمع على أن هناك علاقة وثيقة بين اللغة الوطنية/ المحلية والهوية الجماعية للشعوب، كما وقع التأكيد على ذلك في مطلع هذا القسم من البحث. ومن ثم، فالإختلال في هاته العلاقة بين التونسيات و التونسيين واللغة العربية - كما تصفه تلك المؤشرات - هو مصدر أساسي لخلق شخصية قاعدية أو هوية تونسية مرشحة للتشويش لارتباك والاضطراب. وبكل المقاييس، فإن جميع تلك المعالم السلبية نحو اللغة العربية لاتجعل من حضور اللغة الفرنسية غنيمة للغة الضاد، كما يرى كاتب ياسين.

قراءة المؤشرات بعدسة العلوم الاجتماعية :

يرى فريق من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع أن ثقافة المجتمع (لغته، عاداته، قيمه، تقاليده الدينية، إلخ...) تؤثر تأثيرا كبيرا في تشكيل المعالم المميزة للشخصية القاعدية La Personnalité de Base لأفراد ذلك المجتمع. تساعد هذه الرؤية العلمية، مثلا، على تفسير اختلاف نماذج الشخصيات القاعدية لمجتمعات متجاورة جغرافيا.

مما لاشك فيه أن السلوكات اللغوية التونسية الواردة في المؤشرات السالفة الذكر هي معلم بارز من معالم ثقافة المجتمع التونسي المعاصر. وهذا يعني أن الإرث اللغوي الثقافي الاستعماري لا يزال يمثل واقعا رئيسيا متجذرا في ثقافة الحياة اليومية للتونسيات وللتونسيين، وذلك بعد أكثر من خمسة عقود من الاستقلال وبعد الثورة. وبعبارة أخرى، فإن ذلك الإرث اللغوي الثقافي الاستعماري الفرنسي أصبح عنصرا أساسيا في تشكيل الشخصية القاعدية التونسية لعهد الاستقلال، وذلك بسبب العلاقة الوثيقة بين الثقافي (اللغوي) والنفسي المشار إليها في مقولة علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع المعاصرين بخصوص تأثير العوامل الثقافية في بناء الشخصيات القاعدية للمجتمعات. ومن ثم، فاستمرار الإرث اللغوي الثقافي الاستعماري القوي يمثل أرضية صلبة لوجود واستمرار الحضور الملموس لمعالم الاستعمار النفسي الخفي الذي لا تدركه أو لا تود الاعتراف بوجوده أغلبية

التونسيات و التونسيين وذلك لسببين على الأقل: (١) أن هذا النوع من الاستعمار أصبح جزءاً مكيناً من التركيبة النفسية لشخصية الأفراد. إذن، لا يكاد هذا الوضع النفسي يسمح لهن ولهم بالنظر إليه عن بعد ومن ثمّ بكثير من الموضوعية. (٢) أن الاعتراف به عند القلة القليلة أمر مؤلم لمن يعايشه، إذ هو يحدث إحراجات وتوترات وصراعات وانفصامات في شخصية الأفراد بسبب إزاحة الستار عن الوجه الآخر للطبيعة الحقيقية للاستعمار اللغوي الثقافي النفسي.

يساعد هذان العاملان على فهم وتفسير أسباب استمرار صمت أغلبية التونسيات والتونسيين قبل الثورة وبعدها حتى على مجرد طرح موضوع الاستقلال/التحرر اللغوي الثقافي. بينما نادوا بال**جلاءات الثلاثة الأخرى**: العسكري والسياسي والفلاحي، فنجحوا في تحقيقها. إن تحليل الباحث في هذه الدراسة يُعين على إدراك أسباب تبني التونسيات والتونسيين **لسياسة المكيالين** في مشروع الاستقلال والتحرر من الاستعمار الفرنسي برؤوسه الأربعة، إنها **سياسة تُبقي حتماً استقلال المجتمع التونسي منقوصاً**، وذلك في أهم جوانب استقلال وتحرر الشعوب ألا وهو التحرر/الاستقلال اللغوي الثقافي. وبالتأكيد، لاتقبل روح الموضوعية النظر إلى فقدان التحرر اللغوي الثقافي على أنه غنيمة للمجتمع التونسي الذي سقط تحت نير الاستعمار الفرنسي لأكثر من سبعة عقود (١٨٨١ - ١٩٥٦).

إمكانية أن تكون اللغة الأجنبية غنيمة :

لا تسمح عينة الأمثلة السابقة بالقول بأن حضور اللغة الفرنسية (لغة المستعمر) في المجتمع التونسي في زمن الاحتلال وعهد الاستقلال يمثل غنيمة ربحها التونسيات والتونسيون من فرنسا. لأن هناك **شروطاً أساسية يجب توافرها** قبل أن يصبح استعمال اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأجنبية غنيمة حقيقية للمجتمع التونسي، وغيره من المجتمعات المغاربية التي احتلتها فرنسا. يقتصر صاحبُ الدراسة هنا على ذكر ثلاثة شروط رئيسية تؤهل اللغة الأجنبية لكي تكون غنيمة فعلية للمجتمع المستقبل لها :

(١) يحتاج المجتمع التونسي اليوم وفي المستقبل إلى تغيير نمط الازدواجية اللغوية الثقافية (عربية وفرنسية وثقافتها) لصالح اللغة العربية وثقافتها لكي تصبح اللغة الفرنسية عنده فعلا غنية. فبهذا التغيير تصبح مكانة اللغة العربية وثقافتها على المستويين النفسي والاستعمال الاجتماعي هي الأولى عند التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم. وهذا ما نجده اليوم مفقودا إلى حد كبير بالمجتمع التونسي بعد أكثر من خمسة عقود من الاستقلال. والأمثلة كثيرة جدا على استمرار تحيز التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم للغة الفرنسية وثقافتها، كما رأينا.

تبين الأمثلة والتحليلات السابقة مدى استمرار انتشار التحيز للغة الفرنسية وثقافتها بين التونسيات والتونسيين بعد الثورة وقبلها. فالسلوكات التونسية اللغوية الواردة في تلك الأمثلة تشير بوضوح بأن اللغة العربية ليست هي اللغة الأولى نفسيا واستعمالا اجتماعيا عند أغلبية التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم. ويعود هذا الوضع عند التحليل إلى ما يسميه الباحث الإزدوجية اللغوية الثقافية المتحيزة إلى اللغة الفرنسية وثقافتها على حساب اللغة العربية وثقافتها في عهدي الاستعمار والاستقلال. وهي ما أطلق عليها أعلاه مفهوم الازدواجية اللغوية الأمانة. فبدون تغيير هذا الموقف إيجابيا لصالح اللغة العربية وثقافتها عند التونسيات والتونسيين لا يجوز موضوعيا اعتبار معرفة اللغة الفرنسية وثقافتها غنية كما قال كاتب ياسين. ويتطلب هذا الأمر الرفع من شأن اللغة العربية وثقافتها بحيث تصبح الرغبة والتعاطف نفسيا واجتماعيا مع استعمال اللغة العربية في المكانة الأولى عند الجمهور التونسي المتعلم والمتقف على الخصوص. وكما أُشير من قبل، فهذا ما يتصف به موقف الزيتونيين والتلاميذ التونسيين والتونسيات خريجي ما يسمى شعبة (أ) من التعليم التونسي المعرب في مطلع عهد الاستقلال من القرن الماضي.

وفي المقابل، فإن موقف الأغلبية من التونسيات والتونسيين خرجي المدارس الفرنسية والمدرسة الصادقية والنظام التعليمي التونسي المزدوج اللغة والثقافة لفترة ما بعد الاستقلال موقف/ اتجاه متحيز نفسيا واجتماعيا أكثر لصالح لغة المستعمر وثقافته. وبعبارة أخرى، إنه موقف يهيئ التونسيات والتونسيين للقبول والرضى باستمرار الاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي. يرى عالم الاجتماع الماليزي الشهير سيد حسين العتاس أن هذا التكوين اللغوي الثقافي لصالح الطرف المهيمن يقود إلى بروز ظاهرة ما سماه **بالعقل السجين** The Captive Mind بين أهل الطرف المهيمن عليه (Alatas 1972). أما المفكر الجزائري المعروف مالك بن نبي فقد تحدث هو الآخر عن حالة **استعداد الشعوب للاستعمار**. وما من شك بهذا الصدد أن الازدواجية اللغوية الأمانة تسهل عملية استعداد تلك الشعوب نفسيا واجتماعيا لقبول استمرار الاستعمار اللغوي الفرنسي بعد الاستقلال. وليس من المبالغة القول أن هذا الوضع هو السائد اليوم ليس في المجتمع التونسي فحسب بل في بقية المجتمعات المغاربية التي احتلها المستعمر الفرنسي. يمثل هذا الوضع اللغوي ما أطلق عليه صاحبُ البحث مصطلح **التخلف الآخر** الذي يشير إلى أن تلك المجتمعات المغاربية الأربعة لم تنجح بعدُ نفسيا وثقافيا واجتماعيا في تطبيع علاقتها بالكامل مع اللغة العربية/ لغتها الوطنية. أي أن اللغة العربية ليست لها المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات الأغلبية الساحقة خاصة بين أصحاب القرار السياسي والمتقنين والمتعلمين في هذه المجتمعات، وذلك بعد عقود عديدة من الاستقلال. وبالتأكيد فإن استمرار انتشار ظاهرة **التخلف الآخر** اليوم في الأقطار المغاربية تفند بكل شفافية مقولة كاتب ياسين: لغة المستعمر غنيمة حرب.

(٢) وكنتيجة لما ورد أعلاه يمكن القول أن المجتمع التونسي يشكو من **قصور في تطبيع علاقتها بالكامل مع اللغة العربية**، لغته الوطنية. إذن، فالمطلوب لإصلاح هذه الحالة أن يصبح استعمال اللغة العربية شاملا لكل القطاعات في

المجتمع التونسي، وليس مقتصرًا على بعض القطاعات فقط كما هو الحال اليوم. فالمجتمعات المتقدمة، على سبيل المثال، نجدها ملتزمة بالكامل باستعمال لغاتها الوطنية في كل شؤونها، كما هو الأمر في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا واليابان وكوريا الجنوبية، وغيرها من المجتمعات المتقدمة.

(٣) أما الشرط الثالث ذو العلاقة بالشرطين السابقين فهو **موقف نفسي وفكري** يعطي اللغة العربية المكانة الأولى في قلوب وعقول جميع التونسيات والتونسيين بحيث يصبحون بطريقة عفوية جماعية كاسحة متحمسين للغيرة والدفاع عن اللغة العربية وحمايتها من التهميش والإقصاء من الاستعمال في قضاء شؤون الأفراد ومؤسساتهم بالمجتمع التونسي الحديث.

فالتحليل الموضوعي يؤكد أن غياب كسب المجتمع التونسي لرهان تلك الشروط الثلاثة بطريقة كاملة يبقي استقلال المجتمع التونسي منقوصا في أهم معالم الاستقلال والتمثل في التحرر الكامل من رواسب الاستعمار اللغوي الذي يجعل عقول التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم سجيبة كما أكد ذلك عالم الاجتماع سيد حسين العطاس. إذ تشير الدراسات إلى أن **العقول السجيبة** هي عقول ينقصها **التأهل للابتكار والإبداع**، واكتشاف التصورات وال حلول البديلة للأشياء المطروحة، انطلاقا من تراثها الفكري والعلمي والثقافي لهويتها الحضارية.

ومع استمرار غياب تلك الشروط الثلاثة بدرجات مختلفة بالمجتمع التونسي اليوم لايجوز بكل المقاييس اعتبار حضور اللغة الفرنسية غنيمة للتونسيات والتونسيين كما صرح بذلك تسرع شعار كاتب ياسين في القول «اللغة الفرنسية غنيمة حرب». ومن ثم، يمكن القول إن المجتمع التونسي فاقد كثيرا لأعز معالم الاستقلال من الاستعمار الفرنسي. ويمثل استرجاع التحرر اللغوي الثقافي الكامل **الاستقلال الثاني** في مسيرة المجتمع التونسي الحديث. وفي الختام، يتطلب كسب رهان الاستقلال الثاني مقاومة جادة تنشر **أولا** الوعي المكثف بضرورة التحرر اللغوي الثقافي بين التونسيات والتونسيين في كل الطبقات والقطاعات بالمجتمع

التونسي. **ثانياً**، يصعب أن تفوز تلك المقاومة بدون اتخاذ قرارات سياسية ملتزمة ومقاومة بالعمل والكفاح الملموس بالساعد والقلم لصالح اللغة العربية وثقافتها. ثالثاً، وحتى تتوج كل جهود المقاومة بالفلاح والنجاح لابد من تأسيس نظام تعليم جديد تنصدر فيه اللغة العربية وثقافتها المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات التونسيات والتونسيين ومؤسساتهم، مع التفتح الملتمزم والواسع على اللغات الأجنبية وثقافتها وعلومها الحديثة على الخصوص. يمثل كل ذلك أهم التحديات التي سيقاس بها مدى نجاح أو فشل مسيرة الثورة التونسية.

لغات التدريس بالمجتمع التونسي :

يقع التدريس بلغتين رئيسيتين في المدارس والمعاهد والجامعات التونسية في عهدي الاحتلال الفرنسي والاستقلال، وهما اللغة العربية الفصحى، واللغة الفرنسية. كما تستعمل أيضاً العامية العربية التونسية بطريقة واسعة للتدريس. كانت اللغة الفرنسية في مطلع الاستقلال لغة تدريس العلوم حتى في المدارس الابتدائية التونسية. ثم تم تبني التعريب بالكامل للتعليم حتى نهاية المرحلة الإعدادية في السنة التاسعة. وتستمر سياسة التعريب هذه حتى يومنا هذا. لكن وزارة التربية التونسية تبنت سياسة عودة اللغة الفرنسية كلغة تدريس العلوم ابتداء من المرحلة الثانوية حتى مراحل التعليم العالي في المعاهد والجامعات التونسية وما بعدهما، وبعبارة أخرى، فاللغة الفرنسية هي السيدة اليوم في تدريس العلوم للتلاميذ والطلاب التونسيين في أعز فترات حياتهم لاكتساب المعارف العلمية من الأساتذة التونسيين وبعض الأساتذة الأجانب على حد سواء. ونظراً لهيمنة مفاهيم ونظريات العلوم الغربية في برامج تعليم العلوم، فإن دراستها باللغة الفرنسية فقط ينتظر منها أن تزيد في انصهار المدرسين والتلاميذ والطلبة التونسيين في بوتقة الثقافة العلمية الغربية، الأمر الذي قد يؤدي إلى آثار سلبية على ما يسميه صاحب الدراسة مناعة هويتهم العربية.

أما التدريس الكامل باللغة العربية الفصحى، للأدب وللعلوم الإنسانية والاجتماعية فهو ظاهرة محدودة جداً في كل مراحل التعليم إذ طالما يلون المدرسون والتلاميذ

والطلاب لاستعمال العامية العربية التونسية الممزوجة بعديد الكلمات والجمل الفرنسية بحيث يجوز وصفها بأنها **عامية الفرونكوأراب** Le franco-arabe. فإقصاء الفصحى شبه الكامل كلغة تدريس وتعويضها بالعامية العربية التونسية المفرسة/ الفرونكو أراب وهيمنة اللغة الفرنسية كلغة تدريس العلوم وحتى العلوم الإنسانية والاجتماعية أحيانا في المعاهد العليا والجامعات التونسية ساهم ميدانيا في خلق موقف فاطر وغير متحمس نحو مشروع التعريب الشامل في المجتمع التونسي بعد الاستقلال. ويحتاج هذا الأمر إلى الفهم والتفسير من خلال منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما يسعى هذا البحث إلى إبرازه في جزئيه الثاني والثالث.

النظام التربوي التونسي ودوره في وضع اللغة العربية :

لابد للباحث الاجتماعي اللغوي the sociolinguist أن يطرح عدة فرضيات لفهم وتفسير هذا الموقف الفاطر الذي يتصف به التونسي المتعلم إزاء اللغة العربية: لغته الوطنية.

إن الفرضية الأولى : التي ترشح نفسها بقوة هنا هي: ما هو دور المدارس والمعاهد والجامعات التونسية في غرس حب اللغة العربية والاعتزاز بها أو فقدانها؟ إذ التونسي يتعلم اللغة العربية الفصحى في هذه الفضاءات التربوية مثلما يتعلم اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والإنجليزية. فالملاحظات الميدانية المتكررة تشير إلى أن التونسي المتعلم يولي عموما، بطريقة شبه اللاشعورية، مكانة أعلى لهاتين اللغتين على حساب اللغة العربية الفصحى. فهل يساهم فعلا **النظام التربوي التونسي** في بث هذا الموقف المتقاعس الشائع إزاء اللغة العربية لدى التونسيين المتعلمين؟

الفرضية الثانية : تشير الملاحظات أن إطار التعليم التونسي (المعلمين وأساتذة التعليم الأساسي والثانوي والجامعي) المزدوج اللغة والثقافة في كل مراحل التعليم غير قادر في أغلبيته الساحقة على التحمس بعفوية واستمرار اللغة العربية. وكما سنرى لاحقا، ينتشر هذا الاتجاه حتى لدى أطر التعليم التونسية ذات الازدواجية اللغوية المتزنة (في معرفة اللغتين العربية والفرنسية) مثل خريجي

المدرسة الثانوية الصادقية لفترة ما قبل الاستقلال، وأغلبية خريجي التعليم التونسي لما بعد الاستقلال. إذ يغلب على معظم هؤلاء تحيز لصالح اللغة الفرنسية وثقافتها على حساب اللغة العربية وثقافتها. هل يعود ذلك الموقف/الاتجاه بين المتعلمين والمتعلمين التونسيين إزاء اللغة العربية إلى الازدواجية اللغوية الثقافية المتأثرة بالعامل الاستعماري، أو بإيديولوجيا القيادات السياسية والمتقنين والمتعلمين التونسيين لما بعد الاستقلال أم هما معا؟.

الفرضية الثالثة : هل مجرد حضور الازدواجية اللغوية الثقافية يؤدي في حد ذاته إلى تحقير وتهميش اللغة الوطنية/المحلية في كل المجتمعات البشرية؟ والإجابة القاطعة هي بالطبع لا. تؤكد صحة هذه الأمثلة المتعددة من المتعلمين المزدوجي اللغة والثقافة في كل من ألمانيا والسويد وإسبانيا وماليزيا وحتى مقاطعة كيباك بكندا. أي أن المتعلمين المزدوجي اللغة والثقافة في هذه المجتمعات يعتزون بطريقة تلقائية بلغتهم الوطنية، ويدافعون عنها، ويستعملونها في المقام الأول في مجتمعاتهم، ويعرفون هويتهم بواسطة لغتهم الوطنية، كما رأينا سابقا. وبعبارة أخرى، فعلاقة هذه المجتمعات ومتعلميها بلغاتهم الوطنية/المحلية هي علاقة عضوية وطبيعية وسليمة.

علاقة التونسيات و التونسيين بلغتهم الوطنية :

ومما سبق ذكره، يمكن القول اليوم بأن علاقة التونسي المتعلم - صاحب الازدواجية اللغوية الثقافية المتزنة أو غير المتزنة لصالح اللغة الفرنسية - باللغة العربية ليست بالعلاقة العضوية الطبيعية السليمة. فذلك التونسي ضعيف وازع الاعتزاز بها، وهو لا يزال يهمل استعمالها في شؤون حياته حتى في البسيط منها. وهذا عامل قوي وحاسم في إرباك هوية الأفراد والمجتمعات كما تشهد بذلك بعض بحوث العلوم الاجتماعية الحديثة (Ruano-Boballan , 1998 : 270-282). سنتجلى أسباب ذلك في بقية صفحات هذا القسم من البحث.

لا يسعى الباحث الاجتماعي الدارس لمكانة اللغة العربية اليوم في المجتمع التونسي إلا أن يتعرف عن قرب على دور النظام التربوي لفترتي ما قبل وما بعد

الاستقلال في فهم وتفسير المكانة المهمشة للغة العربية عند المتعلمات والمتعلمين التونسيين المزدوجي اللغة والثقافة المنتمين إلى أصناف ثلاثة من الازدواجية اللغوية في عهد الاستعمار الفرنسي:

- ١ - التعليم الزيتوني المعرب لغة والإسلامي ثقافة.
- ٢ - التعليم الصادقي ذو الازدواجية اللغوية المتزنة نسبيا لأن للغة الفرنسية، كلفة تدريس وثقافة، الهيمنة على مدرسي وخريجي المدرسة الصادقية.
- ٣ - التعليم ذوالتكوين الفرنسي لغة وثقافة والمسمى بالفرنسية (Mission) أي تعليم البعثات الفرنسية الذي تخرج/يتخرج فيه الكثير من التونسيات والتونسيين. وهونظام تعليم تشرف عليه البعثات الفرنسية الساعية لفرنسة لغة وثقافة التونسيين ونشر الدين المسيحي بينهم خاصة في العهد الأول لمرحلة الاستعمار الفرنسي.

فمن وجهة نظر تحليلية سوسيولوجية، لا يُنتظر من المتعلمات والمتعلمين التونسيين بهذا الصنف الأخير من التعليم أن يكون لهم شعور قوي بالاعتزاز باللغة العربية وثقافتها أو تحمس وغيره للدفاع عنهما. بل تفيد الملاحظات الميدانية المتكررة وجود عكس ذلك بينهم والمتمثل في موقف يتراوح في الغالب بين الاحتقار والعداء السافر للغة العربية وثقافتها، الأمر الذي أدى/ يؤدي إلى تجلي حالة من **الاغتراب** *aliénation* عند هؤلاء المتعلمات والمتعلمين التونسيين إزاء لغتهم وثقافتهم الوطنيتين (Ruf, 1974 : 233-79). وليس من الصعب، من وجهة نظر المختصين في العلوم الاجتماعية، فهم وتفسير حالة الاغتراب هذه. فمن جهة، لا يعطي تعليم البعثات الفرنسية بطريقة شبه كاملة للمتعلّقات وللمتعلمين التونسيين فرصة لتعلم اللغة العربية الفصحى. **واللغة** - كما رأينا في الإطار الفكري في القسم الأول من هذا البحث - هي **أم الرموز الثقافية جميعا**. فإن حدوث القطيعة والجفاء والاغتراب بين هؤلاء المتعلمات والمتعلمين التونسيين ولغتهم العربية هو بالتأكيد

عامل ذو تبعات خطيرة على حضور واستمرار تماسك بقية عناصر منظومة الرموز الثقافية الأصيلة والوطنية للمجتمع التونسي وما يمكن أن يكون لذلك من أثر، مثلاً، على إرباك الانتساب للهوية العربية لدى هؤلاء المتعلمات والمتعلمين التونسيين. ومن جهة ثانية، فإن تعلم التونسيين اللغة الفرنسية وثقافتها في كل من نظام تعليم البعثات الفرنسية ونظيره الصادقي تم أيضاً في ظروف الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على المجتمع التونسي. أي أن العلاقة بين الطرفين كانت علاقة بين غالب ومغلوب «فالمغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب»، كما يقول ابن خلدون. وكنتيجة لهذا الوضع، تفيد الملاحظات الميدانية أن المستعمر الفرنسي قد نجح، إلى حد كبير، في بث عقلية الاحتقار للغة العربية وثقافتها بين خريجي هذين الصنفين من التعليم التونسي في عهد الاستعمار. وبالطبع، فالموقف/ الاتجاه التحقيري للغة العربية وثقافتها هو أسوأ بكثير عند التونسيين الذين درسوا في نظام تعليم البعثات الفرنسية وما شابهه. وتؤكد أيضاً الملاحظة الميدانية اليوم أن رصيد موروث هذه العقلية التحقيرية للغة العربية وثقافتها لا يزال منتشرًا كثيرًا بين الأجيال الجديدة للمتعلّقات والمتعلمين التونسيين، وذلك بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال.

أما موقف التونسيين الذين درسوا في جامع الزيتونة فيغلب عليه الاعتزاز باللغة العربية وثقافتها والغيرة والحماس للدفاع عنهما قبل الاستقلال وبعده. كما يلاحظ أن خريجي النظام التعليمي الزيتوني هم أيضاً الأقوى انتماءً إلى الهوية العربية الإسلامية بين المتعلّقات والمتعلمين التونسيين قبل الثورة وبعدها. ويتفق هذا مع الرؤية النظرية لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، من ناحية، والمعطيات الميدانية، من ناحية أخرى (الذوايدي، ١٩٩٥).

فمن وجهة نظر العلوم الاجتماعية، إن تلك الفروق في اتجاهات/مواقف المتعلّقات والمتعلمين التونسيين إزاء اللغة العربية تعود في المقام الأول إلى نوعية عملية التنشئة الرموزية الثقافية التعليمية التي تلقوها في نظم التعليم التونسية التي درسوا فيها والمشار إليها في هذا البحث. فهؤلاء المتعلّقات والمتعلمون كلّهم

تونسيون ينادي دستور بلادهم في أول بنوده بوضوح بأن اللغة العربية هي لغتهم الوطنية التي يجب - باعتبارها لغتهم الأولى - أن تحظى عندهم باحترام كبير جدا. فالسبب في ضعف علاقتهم باللغة العربية لابد أن يرجع أساسا إلى التنشئة الرموزية الثقافية للمدارس والمعاهد والجامعات التي درس فيها هؤلاء، كما يتجلى ذلك الاختلاف، مثلا، في منظومات الرموز الثقافية للنظام التعليمي الزيتوني والنظام المزدوج واللغة والثقافة والنظام التعليمي المفرنس كما ذكر سابقا. وهذا ما يؤكد مفهوم الرموز الثقافية المطروح في القسم الأول في هذا البحث. والمفهوم يرى أن الرموز الثقافية هي المحدد الحاسم لسلوكات الناس ومواقفهم؛ لأنها هي العمود الفقري في تشكيل مواقف/ اتجاهات الأفراد والجماعات والمجتمعات.

مواقف خريجي نظم التعليم من اللغة العربية :

وللتفصيل أكثر في مسألة التنشئة الرموزية الثقافية يحلّل الآن صاحب البحث أسباب الفروق بين الأصناف الثلاثة من المتعلمات والمتعلمين التونسيين إزاء اللغة العربية وثقافتها، من ناحية، والانتماء إلى الهوية العربية الإسلامية، من ناحية ثانية. يتساوى كل هؤلاء المتعلمات والمتعلمين في كون أن جميعهم ذهبوا إلى الدراسة في العهد الاستعماري، لكنهم يختلفون شديد الاختلاف في لغات التدريس والثقافة. ويتضح هذا بأكثر قوة في المقارنة بين تعليم الزيتونيين ونظرائهم التونسيين في تعليم البعثات الفرنسية. فبينما تسيطر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية على التكوين التعليمي لخريجات ولخريجي جامع الزيتونة وفروعه، فإن اللغة الفرنسية وثقافتها هما المهيمنتان على التكوين التعليمي للتونسيات وللتونسيين الذين درسوا في مدارس البعثات الفرنسية. لكن وجود المستعمر الفرنسي في القطر التونسي لا يبدو أنه أثر على اعتزاز المتعلمات و المتعلمين الزيتونيين باللغة العربية وثقافتها وبالانتساب المتين للهوية العربية الإسلامية. يوحي هذا الواقع بأن التجذر في اللغة العربية وثقافتها قد حمى بقوة المتعلمات والمتعلمين الزيتونيين من أعراض الارتباك في انتمائهم للهوية العربية الإسلامية ومن معالم الجفاء والاحتقار للغة

العربية وثقافتها. وفي المقابل، فإنه يلاحظ على المتعلمات والمتعلمين التونسيين خرجي تعليم البعثات الفرنسية ليس فقدانهم لشعور الاعتزاز باللغة العربية وثقافتها فقط، بل الشعور بالاغتراب وحتى العداوة لهما أحيانا. ولابد أن يكون لذلك انعكاسات سلبية على الانتماء القوي غير المتذبذب للهوية العربية الإسلامية عند هذا النوع من المتعلمات والمتعلمين التونسيين في عهدي الاستعمار والاستقلال. وكما بيّن الباحث من قبل، فاللغات الوطنية / المحلية تأتي في المقام الأول بالنسبة لتحديد هويات الشعوب كما تشهد بذلك هويات أفراد المجتمعات الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال. ويتفق هذا مع كل من مركزية اللغة في منظومة صاحب الدراسة للرموز الثقافية وبحوث علم الاجتماع على الخصوص كما ورد في القسم الأول لهذه الدراسة. فاللغة في منظوره هي أم الرموز الثقافية جميعا، أي أنها تحتل بدون منافس مركز الثقل في منظومة الرموز الثقافية: اللغة والعقيدة والفكر والمعرفة / العلم والقوانين والأساطير والقيم والأعراف الثقافية... فالمتعلمات والمتعلمون التونسيون الدارسون في مدارس البعثات الفرنسية في العهد الاستعماري يتعلمون في المقام الأول اللغة الفرنسية، ومن ثم الفكر والتاريخ والمعرفة والعلم والقوانين والقيم والأعراف الثقافية الفرنسية، ولا يتعلمون في أحسن الأحوال إلا النزر القليل من اللغة العربية والفكر والتاريخ والعلم والمعرفة والقوانين والقيم والأعراف الثقافية من الحضارة العربية الإسلامية. وتعبير العلوم الاجتماعية، فإن هؤلاء التونسيات والتونسيين قد تعرضوا إلى تنشئة اجتماعية socialisation مكثفة في منظومة الرموز الثقافية للمستعمر الفرنسي.

أما الموقف العام لخرجي المدرسة الصادقية ذوي الازدواجية اللغوية المترنة من اللغة العربية والانتماء للهوية العربية الإسلامية فهو «موقف/ اتجاه البين بين». أي أنهم ليسوا بشديدي التحمس والدفاع عن اللغة العربية والهوية العربية الإسلامية مثل الزيتونيين ولا هم يشكون من قوة علاقة الجفاء والاغتراب مع اللغة العربية، وضعف الانتساب إلى الهوية العربية الإسلامية، كما هو الأمر عند المتعلمات والمتعلمين التونسيين خرجي نظام تعليمي البعثات الفرنسية. وبعبارة أخرى، فإنه يمكن وصف

موقف/اتجاه المتعلمات و المتعلمين الصادقين من اللغة العربية والهوية العربية الإسلامية بأنه موقف يغلب عليه التذبذب. إذ يلاحظ على أغليبيتهم تحيز أكبر إلى صالح اللغة والثقافة الفرنسييتين. فلا يكاد يوجد بينهم من يتحمس ويدافع ويغار في المقام الأول بكل تلقائية وقوة على اللغة العربية وثقافتها. وتفيد الملاحظات الميدانية المتكررة بهذا الصدد بأنه يمكن القول إن الصادقين الذين يتحمسون ويدافعون ويغارون على استعمال اللغة الفرنسية وثقافتها في المجتمع التونسي هم أكثر بكثير من الصادقين الذين يتبنون نفس هذا الموقف بالنسبة للغة العربية وثقافتها الوطنيتين. وهذا ما ينبغي أن يفسر أيضا طبيعة تحالف الصادقين مع بقية المتعلمات والمتعلمين التونسيين الأكثر تفرنسا لغة وثقافة ضد الزيتونيين بالمجتمع التونسي المعاصر. تشير الدلائل بوضوح إلى أن تقارب الصادقين وتحالفهم مع المتعلمات والمتعلمين التونسيين خريجي نظام تعليم البعثات الفرنسية أقوى بكثير من تقاربهم وتحالفهم مع الزيتونيين. أي أن التعليم الصادقي ذا الازدواجية المتزنة والإيديولوجيا الغربية لايسمح عموما لأصحابه بتبني اتجاه أكثر تعاطفا مع الزيتونيين.

لا يصعب تفسير موقف الصادقين ضعيف الحماسة والاعتزاز باللغة العربية وثقافتها، وذلك بسبب عامل تكوينهم التعليمي المزدوج اللغة وثقافتها. إذ كان ينظر إلى تعليمهم على أنه مثالي في الازدواجية اللغوية والثقافية المتزنة مما يجعل الصادقين ذوي موقف متساوي التمس والاعتزاز على مستويي طرفي ازدواجيتهم اللغوية والثقافية (عربية وفرنسية). وكما رأينا، فتكوينهم التعليمي ينتمي في واقع الأمر إلى الازدواجية المتزنة التي تتفوق فيها اللغة الفرنسية وثقافتها على اللغة العربية وثقافتها.

وللتفصيل في هذا الأمر، يمكن ذكر وجود عاملين كان لهما التأثير على موقف الصادقين المتحيز أكثر إلى اللغة والثقافة الفرنسييتين. يتمثل الأول في القول بأن طرفي الازدواجية في التعليم الصادقي لم يكونا أصلا متساويين بالكامل فعلا، كما بين صاحب البحث سابقا. أي أن معرفة خريجي المدرسة الصادقية في اللغة الفرنسية وثقافتها كانت

أقوى من معرفتهم في اللغة العربية وثقافتها. تسهل هذه المعطيات فهم وتفسير تحيز الصادقيين الأكبر للغة الفرنسية وثقافتها. أما العامل الثاني المرشح للتأثير على موقف الإعجاب والانبهار لدى الصادقيين باللغة والثقافة الفرنسيين فهو عامل الاستعمار. والصادقيون حتى إن كان نظام تعليمهم مثالاً في القرب من الازدواجية اللغوية والثقافية المتزنة، فإنهم كانوا يزاوون دراستهم في عهد الاحتلال الفرنسي لبلدهم. وبالتعبير الخلدوني، فقد كانوا في موقع المغلوب المولع بتقليد الغالب بما في ذلك في لغته وثقافته اللتين نجح المستعمر الفرنسي في نشر دعوته الإيديولوجية بين الصادقيين والمتعلمين والتونسيين في مدارس البعثات الفرنسية بأن اللغة الفرنسية وثقافتها هما أكثر رقياً وتحضراً من اللغة العربية وثقافتها.

وهكذا وُلدت بين هذين الصنفين من المتعلمين والتونسيين علاقة غير سليمة مع لغتهم وثقافتهم العربيتين الوطنيتين. علاقة تتراوح، من جهة، بين شعور متعلمات ومتعلمي البعثات الفرنسية بالاغتراب والجفوة وحتى العداء إزاء اللغة العربية وثقافتها، ومن جهة ثانية، حضور الموقف الفاقد للحماس والغيرة والمتذبذب في معظم الحالات إزاء مشروعية احترام مكانة اللغة العربية وثقافتها عند المتعلمات والمتعلمين الصادقيين، وهو موقف نجح هؤلاء في نشره بعد الاستقلال بين سواد الشعب التونسي، وخاصة المتعلمات والمتعلمين منهم. إذ الصادقيون وخريجو التعليم المفرنس يمثلون الأغلبية التي قادت إدارة المجتمع التونسي بعد معركة التحرير من فرنسا في ١٩٥٦. ومن ثم، يجوز القول إن استمرار موقف/ اتجاه الترحيب الشعبي التونسي الواسع باللغة الفرنسية وثقافتها بعد الاستقلال يتفق مع القول الشائع: الناس على دين ملوكهم.

لغة الضاد في المجتمع التونسي بعد الاستقلال :

١- في النظام التربوي :

تغيرت إيجابياً وضعية اللغة العربية على مستوى الاستعمال في المجتمع التونسي المستقل منذ ١٩٥٦. فَعُربَ التعليم الابتدائي والإعدادي بالكامل. أي أن

التلميذ التونسي يتعلم في هاتين المرحلتين كل مواد دراسته باللغة العربية ويتعلم الفرنسية والإنجليزية (في المرحلة الإعدادية) كمجرد لغتين أجنبيتين. لكن يُفاجأ التلميذ التونسي في مرحلة التعليم الثانوي بغياب استعمال أساتذته للغة العربية في تدريسه الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية. فيصبح يدرس كل هذه المواد باللغة الفرنسية. ويرى الكثيرون أن لهذا التغيير المفاجئ انعكاسات بيداغوجية سلبية على تعلم التلميذ التونسي وأثارا نفسية ليست في صالح علاقته باللغة العربية، لغته الوطنية (Grosjean 1982 : 120-121).

أما على المستوى الجامعي فلا تستعمل اللغة العربية كلغة تدريس في الجامعات والكليات والمعاهد العليا التونسية التي تدرس العلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم الحديثة، بل تدرس هذه العلوم بلغة موليار. ويمثل غياب تدريس كل تلك العلوم باللغة العربية امتدادا طبيعيا لفرنسة تدريس العلوم الذي بدأ في المرحلة الثانوية، كما رأينا. ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن مقررات العلوم الاجتماعية والإنسانية، مثلا، تدرس بالضرورة باللغة العربية في الجامعات والكليات والمعاهد العليا التونسية. فمن ناحية، ليس هناك قوانين في تلك المؤسسات تجبر أعضاء هيئة التدريس على استعمال اللغة العربية في تدريس الطلبة مقررات العلوم الاجتماعية مثل علم النفس والاجتماع والتاريخ والجغرافيا. أي أن اختيار لغة التدريس (عربية أو فرنسية) هو في المقام الأول اختيار الأستاذ المدرس. ومن ناحية أخرى، عرفت المؤسسات الجامعية التونسية منذ سنوات تراجعاً في عملية التعريب بالنسبة لتدريس مقررات العلوم الاجتماعية والإنسانية بحيث أصبح الطلبة ملزمين بتحرير أجوبة امتحاناتهم وكتابة بحوثهم باللغة الفرنسية في المقررات التي يدرسونها باللغة الفرنسية، بينما كان لهم الحق سابقا في استعمال اللغة العربية إذا شاءوا (القاسمي، ٢٠٠٣ : ٤-٢٥).

يشير هذا التشخيص الوصفي الموجز لوضع استعمال اللغة العربية في المؤسسات الجامعية التونسية بأنها لا تتمتع بالمكانة الأولى عند

الأساتذة وطلبتهم باعتبارها لغة وطنية، كما هو سائد في المؤسسات الجامعية في المجتمعات المتقدمة والكثير من المجتمعات النامية حيث تتبوأ اللغة الوطنية الصدارة في استعمالها في التدريس، وفي بقية الأنشطة المعرفية والعلمية الجارية في تلك المؤسسات الجامعية. إن غياب قوانين في المؤسسات الجامعية التونسية تعطي اللغة العربية حقها في أن تكون لغة التدريس الأولى - باعتبارها اللغة الوطنية - وفقدان قوة الشعور بالاعتزاز والاحترام والتحمس نحو اللغة العربية بين الأساتذة الجامعيين وطلابهم **يهمشان فعلا موقع اللغة العربية** على كل من المستوى المؤسساتي الجامعي والجانب النفسي للأساتذة الجامعيين وطلبتهم إزاء اللغة العربية. وهو وضع يتناقض وطنيا وموضوعيا مع ما ينبغي أن تحظى به اللغة الوطنية لدى مؤسسات وأفراد المجتمع ذي السيادة الكاملة في مجال التحرر اللغوي والقطيعة مع استمرار تركمة التبعية للاستعمار الفرنسي في أخطر التبعية جميعا.

٢ - النخب السياسية واللغة العربية :

تولى الزعيم الحبيب بورقيبة رئاسة البلاد التونسية بعد الاستقلال لفترة تزيد على ثلاثة عقود (١٩٥٦-١٩٨٧) هيمن فيها التونسيون أصحاب الازدواجية اللغوية الثقافية المتزنة (الصادقيون) وذوو تعليم البعثات الفرنسية على أهم مراكز السلطة والمسؤولية في المجتمع التونسي المستقل الحديث (عبد السلام، ١٩٩٤ : ٩٥). فنادرا جدا أن أسندت في العهد البورقيبي مناصب وزارية أو مناصب أخرى عالية في المؤسسات الوطنية إلى خريجي جامع الزيتونة، وجامعات الشرق الأوسط، أصحاب التعليم المتين في اللغة العربية والعقيدة الإسلامية وثقافتها. وبعبارة أخرى، فالتونسيون أصحاب التعليم اللغوي والثقافي العربي الإسلامي تعرضوا / يتعرضون إلى عملية إقصاء من المناصب العالية والقيادية في المجتمع التونسي الحديث. ويجوز وصف وضعهم بأنهم ضحية لتمييز لغوي ثقافي سلبي لا إلى تمييز عنصري عرقي ولوني. فمن الناحية الموضوعية، إن لذلك التمييز اللغوي الثقافي السلبي انعكاسات خطيرة على مستويات الوطنية والاستقلال والعدالة الاجتماعية في المجتمع التونسي بعد الاستقلال وبعد

الثورة. فاستمرار الموقف التحقيري نفسيا واجتماعيا للغة والثقافة الوطنيتين عند أغلبية التونسيات والتونسيين والمتققات والمثقفين والمتعلّقات والمتعلّمين لفترة ما بعد الاستقلال هو بالتأكيد موقف في الاتجاه المعاكس لكسب مشروعية رهان الهوية العربية والاستقلال الحقيقيين للمجتمع التونسي الحديث . فبدل أن يحظى هؤلاء التونسيون المعربون لغة وثقافة بالترحيب والتعيين في أهم المناصب والمسؤوليات للحكومات التونسية المتعاقبة في عهد الاستقلال، نجدهم يلقون الإقصاء من تلك المناصب والمسؤوليات في غالب الأحيان لمجرد تكوينهم التعليمي العربي الإسلامي المتجذر في أهم عنصرين مكونين للهوية الجماعية التونسية: اللغة العربية والثقافة الإسلامية. ويمكن القول من الناحية العلمية الموضوعية لهوية الشعب التونسي إنها مفارقة فجة أن يُعامل أصحاب أهم مكونين للهوية الوطنية الجماعية التونسية معاملة تحط من شأن أبرز أسس الهوية الوطنية التونسية (اللغة العربية والدين الإسلامي وثقافتها) وتعرضها من ثم إلى التهميش والتحقير وحتى إلى النكران. فيجوز القول بهذا الصدد: إنها سلوكات حكومية رسمية ومجتمعية واضحة لما أطلق عليه الباحث مفهوم التخلف الآخر (الذوايدي، ٢٠٠٢). وتلك في نهاية المطاف سياسة صريحة وشفافة بالنسبة لفقدان ممارسة المساواة والعدالة الاجتماعية (المواطنة) مع المتعلمين التونسيين الأكثر تجذرا وارتباطا بأهم المكونات الرئيسية (اللغة العربية والثقافة الإسلامية) للشخصية الوطنية التونسية وللحوية الجماعية التونسية. ويجوز النظر بهذا الصدد إلى فوز حزب حركة النهضة في انتخابات ٢٣ أكتوبر ٢٠١١ بالمجتمع التونسي بأنه يمثل سابقة سياسية في تاريخ تونس الحديث. فلأول مرة منذ الاستقلال يتصدر النهضويون المنادون بقوة بهوية تونس العربية الإسلامية المشهد السياسي في الحكم وإدارة شؤون البلاد والعباد. وهو حدث مرشح لتغيير المجتمع التونسي لصالح الهوية العربية الإسلامية وإقامة نظام تعليم تربوي تتخرج فيه أجيال تونسية جديدة تحترم بوعي ونضج وعقلانية هويتها الدينية، وتستعمل اللغة العربية كلغة وطنية في شؤونها الشخصية، وفي إدارة كل قطاعات المجتمع.

مواقف/اتجاهات المجتمعات نحو لغاتها الوطنية :

وختاما للتشخيص السابق لعلاقة المجتمع التونسي باللغة العربية، لغته الوطنية، تود الدراسة إنهاء هذا الجزء من البحث بتحليل فكري مقارن يساعد على قراءة شبه كمية وبيانية لوضع اللغة العربية اليوم في البلاد التونسية.

يعلن دستور الجمهورية التونسية لعام ١٩٥٩ في أول فصوله بأن «تونس دولة حرة مستقلة ذات سيادة، الإسلام دينها والعربية لغتها والجمهورية نظامها» (دستور الجمهورية التونسية، ١٩٩٨: ٧). فواضح مما ورد في هذا البند من الدستور التونسي أن القيادة السياسية التونسية الجديدة بعد الاستقلال بقيادة الرئيس الحبيب بورقيبة تؤكد أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية أو الوطنية للمجتمع التونسي المستقل. ويعني هذا الإقرار أن تكون له التزامات أخلاقية وقانونية وعملية نحو اللغة العربية لكي تكون فعلا لغته الوطنية بحيث تصبح العلاقة بينهما علاقة عضوية حميمية. ولتعرف طبيعة تلك العلاقة بين المجتمع التونسي واللغة العربية يقوم الباحث بمقارنتها بنظيراتها في المجتمعات صاحبة السيادة اللغوية الكاملة.

تفيد الملاحظات الميدانية اليوم في المجتمعات المتقدمة بالتحديد بأن لغاتها الرسمية / الوطنية تتمتع فيها بالمواصفات الرئيسية الآتية:

- ١ - الاستعمال الكامل لها على المستويين الشفوي والكتابي.
- ٢ - الاحترام لها، والاعتزاز بها، والغيرة عليها، والتحمس للدفاع عنها.
- ٣ - معارضة استعمال لغة أجنبية بين مواطني تلك المجتمعات.
- ٤ - شعور عفوي قوي لدى المواطنين بالأولوية الكبرى التي يجب أن تنفرد بها اللغة الوطنية في الاستعمال في مجتمعاتهم.
- ٥ - إحساس قوي ومراقبة واسعة لدى المواطنين لتحاشي استعمال الكلمات الأجنبية، وسياسات لغوية وطنية لترجمة المصطلحات والكلمات الأجنبية الجديدة إلى اللغة الوطنية.

٦ - تمثل اللغة الوطنية العنصر الأبرز لتحديد هويات الأفراد والمجتمعات، كما رأينا في مجتمعات الاتحاد الأوروبي.

خريطة علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية :

إذا تبيننا تلك المواصفات الست لقياس موقف/ اتجاه التونسيين اليوم نحو اللغة العربية لوجدنا أن موقفهم ضعيف على كل واحدة من هذه المواصفات:

١ - فعلى المستوى الشفوي، يمزج التونسيون كثيرا حديثهم بكلمات وجمل وعبارات فرنسية: الفرونكو أراب le franco-arabe. وربما يجوز القول بأن أغليبيتهم تستعمل في المعدل كلمة فرنسية على الأقل في كل عشر كلمات (١٠/١) من حديثها بالعامة التونسية. وبتعبير العلوم الاجتماعية، فالفرونكو أراب تمثل المعيار اللغوي الاجتماعي. أي أن حديث التونسية أو التونسي مع التونسيين بلهجة تونسية عربية خالية تماما من أي كلمة فرنسية يُنظر إليه من طرف معظمهم على أنه ضرب من السلوك اللغوي المنحرف (Schur,1980) الذي طالما يقابل بالتعجب والحيرة وحتى التهكم والسخرية، كما وقع ذكره من قبل.

أما استعمال اللغة العربية في الكتابة، فهو لا يزال محدودا في الأمور الكبيرة والصغيرة. فمعظم التونسيين يكتبون، مثلا، صكوكهم المصرفية باللغة الفرنسية. واللغة العربية غائبة في العديد من المؤسسات التونسية الحديثة. فاللغة الفرنسية، كما رأينا، هي لغة العلوم في المؤسسات التعليمية التونسية ابتداء من مرحلة التعليم الثانوي وانتهاء بمرحلة الدراسات الجامعية العليا. وكذلك فإن اللغة الفرنسية تبقى لغة الكتابة لأنشطة جل البنوك التونسية ولغة المراسلات الدورية مع عملائها.

٢ - تشير الاستبانات والملاحظات المباشرة المتكررة للسلوكات اللغوية للمتعلمين التونسيين بعد الاستقلال ١٩٥٦ بأن أغليبيتهم الساحقة لا تكاد تبدي بغفوية وارتياح حماسا واعتزازا باللغة العربية باعتبارها لغتهم الوطنية. يفسر علم النفس

الاجتماعي المهتم بدراسة مواقف الناس (Johada Warren, 1966) بأن ذلك السلوك اللغوي يقتزن عند هؤلاء التونسيين **بغيباب الموقف/الاتجاه القوي** المدافع بعفوية والغيور في السر والعلن على اللغة العربية. وبعبارة أخرى، فلا يكاد يوجد عندهم في أحسن الأحوال أكثر من **شعور** فاطر لصالح اللغة العربية.

٣ - **لا يعارض** ومن ثمّ لا يحظر المتعلمون التونسيون اليوم على أنفسهم استعمال اللغة الفرنسية بينهم في الشؤون الصغيرة والكبيرة التي يقومون بها في مجتمعهم، بل نجد الكثير منهم يرغبون ويفتخرون بذلك.

٤ - **لا يلاحظ** الباحث الاجتماعي اليوم لدى أكثر المتعلمين التونسيين إتجاها قويا ومتحمسا ينادي ويعمل فعلا على **إعطاء اللغة العربية الأولوية الكبرى** في الاستعمال في كل قطاعات المجتمع التونسي بما فيها القطاعات العصرية.

٥ - أما **هاجس مراقبة النفس** لتجنب استعمال الكلمات الفرنسية/الأجنبية فهو أمر **مفقود** عندهم. ولعل ازدياد انتشار ظاهرة الفرونكوأراب بينهم اليوم هو مؤشرا على ضعف وعيهم بأهمية اللغة العربية كلغة وطنية لمجتمعهم. ومن ثم، جاء فقدان أو ضعف الالتزام لديهم بتضييق الخناق على اللجوء إلى استعمال كلمات وعبارات فرنسية كثيرة في العامية التونسية واللغة العربية الفصحى على حد سواء، كما رأينا سابقا.

٦ - إذا كان الألمان والإيطاليون والفرنسيون والأسبان، مثلا، يعرفون بتلقائية وتحمس هويتهم في المقام الأول بلغاتهم الوطنية، فإن الازدواجية اللغوية والثقافية للتونسيات و للتونسيين المتعلمين لا تكاد تسمح لهم بربط هويتهم بوضوح وبسهولة باللغة العربية : أي الانتماء الواضح والقوي إلى الهوية العربية.

القسم الثالث

الجنـدر واستعمال اللغة :

اللغة الفرنسية وإشكالية هوية المرأة التونسية

المرأة التونسية وسلوكها اللغوي :

ولإكمال تشخيص التأثير العام لحضور اللغة الفرنسية على اللغة العربية في المجتمع التونسي، يطرح صاحبُ الدراسة في هذا الجزء الأخير من البحث **عينة من التأثير الخاص** والمتمثل في تعامل المرأة التونسية مع اللغة العربية بسبب معرفتها كثيرا أو قليلا للغة الفرنسية.

لقد كثف الباحث اهتماماته في دراسة المجتمع التونسي خاصة والمجتمعات العربية بصفة عامة بعد عودته من أمريكا الشمالية التي درس ودرّس بها (الذواوي ٢٠٠٦، ٢٠٠٢). فتوصل، كما وقعت الإشارة من قبل، إلى اكتشاف ظواهر ومفاهيم جديدة لا يكاد يدرسها علم الاجتماع التونسي أو العربي. فالشخصية التونسية المستنفرة والتخلف الآخر والفرونكوارب الأنثوية وضعف التعريب النفسي والازدواجية اللغوية الأمارة أو اللوامة والاقتصار على تربية ماشية الذكور في الشمال الشرقي التونسي كلها ظواهر ومفاهيم نجح صاحبُ البحث في اكتشافها من صميم **تربة النسيج الاجتماعي** للمجتمع التونسي والمجتمعات العربية (الذواوي ٢٠٠٦، ٢٠٠٢، اللسان العربي ٢٠٠٧: ٤١ - ٦٢).

فلقد شدت انتباهه كثيرا ظاهرة استعمال اللغة الفرنسية في ثلاثة أقطار من المغرب العربي وهي تونس والجزائر والمغرب (الذواوي ٢٠٠٢) كما جاء في الجزء السابق من هذا البحث. والأكثر من ذلك، فقد لفت نظره بشدة على الخصوص **السلوك اللغوي النسائي مع اللغة الفرنسية** في هذه المجتمعات الثلاثة (الذواوي ١٩٨١: ١٢٤ - ١٩٩٦، ١٣٧: ٨١ - ١٩٥، ٩١ - ٢٣٠: ٢٠٠٦) وهذا

ما يطمح هذا الجزء من البحث إلى طرحه ومناقشته وفهمه وتفسيره في صفحاته المحدودة. (Dhaouadi 1996 : 107-127 2002).

ومن ثم، تُطرح هنا مسألة الاستعمال المختلف للغة لدى المرأة في المجتمع التونسي. يزداد الاهتمام بهذا الموضوع في العلوم الاجتماعية والعلوم اللسانية الغربية على الخصوص (Holmes & Meyerhoff 2005). وفي المقابل، فإن هناك إهمالا شبيه كاملا في العلوم الاجتماعية العربية الحديثة لدراسة دلالات السلوكيات اللغوية التي قد تختلف فيها النساء العربيات عن نظائرهن من الرجال (المرأة في العالم العربي/ كتاب جماعي ١٩٨٤، النوع الاجتماعي/ كتاب جماعي ٢٠٠٥). ومن ناحية أخرى، فقد لفتت نظر صاحب الدراسة ملاحظاته الميدانية لبعض ملامح السلوك اللغوي الأنثوي المختلف عن نظيره الذكوري لدى المرأة التونسية (الذوايدي ١٩٨١، ١٩٩٦). فهذا الجزء من البحث يثير نظريا مفهومي الجنس والنوع الجنسي/جندر كما يستعملان منذ عقود في دراسات العلوم الاجتماعية، وفي طليعتها علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفس واللسانيات.

الجنس والنوع الجنسي :

تُعتبر مارجريت ميد عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية الشهيرة رائدة في ميلاد مفهومي الجنس والنوع الجنسي. إذ اكتشفت من خلال دراستها لقبائل أراباشس بغينيا الجديدة أن الرجال يتصرفون ببعض السلوكيات التي تُنسب عادة في مجتمعات أخرى إلى النساء مثل حب الأطفال والانفعال والحساسية. أما عالمة الأمريكية آن أوكالي فقد نشرت أول عمل في ١٩٧٢ حول (الجنس والنوع الجنسي والمجتمع) Sex, Gender and Society/Ann Oakaly. تُعرّف أوكالي النوع الجنسي بطريقة معاكسة لمفهوم الجنس. فكلمة الجنس تشير عندها إلى الفروق الفيزيولوجية والبيولوجية بين المرأة والرجل، بينما يفيد مصطلح النوع الجنسي/الجندر بأنه سلوك الجنسين المتأثر بثقافة مجتمعهما، أي أن النوع الجنسي هو نتيجة لتصنيف اجتماعي ثنائي لما هو ذكوري أو أنثوي كما تراهما ثقافة المجتمع. ووفقا

لمنظور علماء الاجتماع ، فالمجتمع طالما يقوم بتقسيم الأدوار على الجنسين بطريقة غيرمتساوية.

فقدان المفهومين في علم الاجتماع العربي :

ليس من المبالغة القول بأن الباحثين في علم الاجتماع العربي لا يكادون يستعملون مفهومي الجنس والنوع الجنسي كما ورد تعريفهما هنا. فعلى سبيل المثال، نشرت مجلة **إضافات** الصادرة عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع في عددها السادس لربيع ٢٠٠٩ ملفاً بأربعة بحوث حول الجنس في المجتمعات العربية. فعنوان البحث الأول: **الخادمت والجنس: دراسة التصورات التي يحملها العرب عن الحياة الجنسية للخادمت المنزليات المقيمات**. وجاءت الدراسة الثانية تحمل هذا العنوان: **سوسيولوجيا المرأة والجنس في أعمال عبد الصمد الديالمي**. أما الموضوع الثالث فعنوانه **صاحبه بالآتي: الجنوسة في فهم الشباب اللبناني: ثبات في الأحكام وتبدل في المواقف**. وتطرق البحث الرابع والأخير إلى الحياة الجنسية للمراهقين. فكان عنوانه: **المراهق والجنس: سيرة حياة مراهق قروي**.

يتضح من عناوين تلك الدراسات **غياب مفهومي الجنس والنوع الجنسي** بالمعنيين المشار إليهما: **الجنس كهوية فيزيولوجية بيولوجية لكل من المرأة والرجل والنوع الجنسي كهوية لكلا الجنسين يتعلمانها من ثقافة مجتمعهما**. فأصحاب تلك البحوث يركزون في المقام الأول على النشاط الجنسي عند الخادمت وعند المرأة العربية/ المغربية وعند الشباب المراهقين في مجتمعات الوطن العربي. وبهذا الصدد هناك مشروعية كبيرة للقول بأنه كان من المنتظر أن يهتم علماء الاجتماع العرب بمفهوم النوع الجنسي على الخصوص. إذ إن ثقافات المجتمعات العربية ذات تأثير كبير على تحديد شخصيتي المرأة والرجل العربيين وسلوكهما وأدوارهما المختلفة في تلك المجتمعات. وبذلك، فالنوع الجنسي هو مفهوم سوسيولوجي **مشروع ومفتاحي** لدراسة وفهم وتفسير العديد من الظواهر الاجتماعية العربية المتنوعة والمختلفة بين النساء والرجال في المجتمعات العربية في المشرق والمغرب العربيين.

فرغبة الباحث هنا في دراسة ظاهرة الرغبة البارزة لدى النساء التونسيات/ المغاربيات في استعمال اللغة الفرنسية تعود إلى عقود (الزوادي ١٣٧ - ١٢٤ : ١٩٨١ و ١٩٩٦ : ٨١ - ٩١). ورغم التركيز هنا على هذه الظاهرة في المجتمع التونسي اليوم، إلا أنه يسهل تعميم ملاحظات ونتائج طرح هذا البحث على النساء في الجزائر والمغرب وربما على بنات حواء في بعض المجتمعات العربية الأخرى. تتلخص المقولة الرئيسية هنا في القول بأن اللغة ليست مجرد أداة تواصل بين الناس فحسب بل هي أيضا أداة رمزية تعكس أيضا وضع المرأة المستعملة لها على المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية، كما سيتضح ذلك في بقية سطور هذا القسم من البحث.

اللغة الأم عند اليونسكو ولدى المرأة التونسية :

قررت منظمة اليونسكو منذ سنوات الاحتفال في ٢١ فبراير من كل عام كيوم عالمي للاحتفال باللغة الأم. وذلك حفاظاً خصوصاً على اللغات المهددة بخطر الزوال وتدعيماً لمناعة حضور فسيفساء التنوع اللغوي في القارات الخمس (Wurm 2001). فتقام بهذه المناسبة الاحتفالات المتعددة لصالح اللغات الأم التي يقرب عددها من ٦٠٠٠ لغة على سطح المعمورة. واللافت للنظر بهذا الصدد أن المجتمع التونسي الحديث لا يحتفل بهذا اليوم الذي تنادي به اليونسكو. ومن ثم، تأتي مشروعية تساؤل هذا الباحث في الشؤون اللغوية للمجتمعات عن سبب غياب الاحتفال باللغة الأم في هذا المجتمع في ٢١ فبراير من كل عام: هل يعود الأمر إلى أن اللغة العربية ليست في خطر أو هل أنه لم تعد هناك لغة عربية واحدة اليوم في هذا المجتمع؟

مما لا شك فيه أن اللغة العامية التونسية تمثل اللغة الأم لمعظم التونسيات والتونسيين. تمثل المفردات العربية الجزء الأكبر من كلمات العامية التونسية وتليها مفردات اللغة الفرنسية. وهكذا يصح القول بأن العامية التونسية اليوم هي خليط من اللغتين العربية والفرنسية، كما ذكر من قبل. فالعامية التونسية هي، إذن، نوع من الفرنكو أراب التي يزداد فيها أو ينقص استعمال مفردات العربية والفرنسية

حسب عوامل مختلفة مثل نوعية تعليم وثقافة و**جنس المتحدث**. وينطبق هذا الوضع على المواطنين والمواطنات التونسيين.

وبالنسبة لعاملَي الجنس وجندر/النوع الجنسي، تفيد دراسات الباحث والملاحظات العامة أن النساء التونسيات المتعلّقات والثقافات على الخصوص يملن في كلامهن أكثر من نظرائهن من الرجال التونسيين إلى استعمال **النبرة الباريسية** l'accent parisien ورصيد أكبر من الكلمات والعبارات الفرنسية في حديثهن (Dhaouadi 1996 :107-125).

عينة لحديث التونسية :

يصف مقالُ الصحافي التونسي السيد محمد بن رجب الميل الكبير لاستعمال اللغة الفرنسية لدى المرأة التونسية في جريدة الصباح ٢٠٠٧/٠٨/١٤. سألت المذيعة سيدة في الثلاثين من عمرها، وهي خارجة من المسرح الأثري بقرطاج بضواحي تونس العاصمة، عن رأيها في سهرة الفنانة صوفية صادق. فقالت هذه السيدة: (الحفلة السواري طيارة فريمون. لاشانتوز صوفية عندها بالفوا، سي فريمون فوربل. يلزم التوانسة فيارب الفودادات متاعهم. اونا مارمن لي ليواني الجدد. سي فريمون طيارة صوفية، طيارة. سواري ميرفايوز). ونظرا للكمية الكبيرة من الكلمات والجمل الفرنسية في إجابة تلك التونسية بالعامية التونسية، فإن ترجمة إجابتها تصبح ضرورية للناطقين بالعربية من غير التونسيين والتونسيات: (حقيقة الحفلة ممتازة. فالمغنية صوفية لها صوت جميل. إنه حقا قوي الجمال. وعلى التونسيين الافتخار بمطرباتهم. كفانا من المغنين اللبنانيين الجدد. فصوفية حقا ممتازة وممتازة والحفلة رائعة).

يعلق ابن رجب على كلام هذه السيدة بالقول: «وكان يمكن أن لاتلفت هذه السيدة نظري تماما لو كانت هي وحدها التي استعملت هذه اللهجة التي جاءت أغلبها باللغة الفرنسية. لكنها لم تكن نشازا.. ولاشادة.. فلقد تحدثت جل المستجوبات إلى المذيعة بالفرنسية السليمة.. أو اللهجة اللقطة التي تحتوي على جمل فرنسية كاملة أو مكسرة أو مخلوطة بكلمة إيطالية عابرة أو لفظة إنكليزية مدسوسة».

تميل معظم بنات حواء في هذا المجتمع إلى الافتخار بذلك رغم ما يمكن أن يكون لهذه الظاهرة من جوانب سلبية على اللغة العربية/ لغة البلاد وعلى هويتهم وانتسابهم الحضاري للثقافة العربية الإسلامية كما رأينا في القسمين السابقين من هذه الدراسة.

تسلط استعمال الفرنسية على التونسيات :

إن ما يلفت نظر عالم الاجتماع في السلوك اللغوي للمرأة التونسية هو مبالغتها في استعمال اللغة الفرنسية بدل العامية العربية التونسية النقية في حديثها عن الألوان والمقاييس والأيام والأرقام. فنحن، مثلا، لا نكاد نسمع أي تسمية للألوان باللغة العربية عندما نصاحب زوجاتنا أثناء شرائهن بعض الملابس في المراكز التجارية وغيرها من المحلات. فالحديث عن ألوان الملابس ومقاييسها لا يتم في العادة إلا باللغة الفرنسية. فيندر استعمال الكلمات العربية للون الأزرق والأسود والأبيض والوردي والرمادي في حديث النساء المشتريات والبائعات على حد سواء. وتستولي اللغة الفرنسية أيضا بطريقة شبه كاملة في الحديث على مقاييس طول وعرض الملابس. فهذا الاستعمال المتكرر باللغة الفرنسية في هذه المناسبات في دنيا عالم النساء يؤدي إلى نشأة عرف لغوي عام بين التونسيات يعطي الأولوية للفرنسية بحيث يجعلهن يخجلن من استعمال اللغة العربية في الحديث عن الألوان والمقاييس والأرقام. ويشبه هذا الوضع ما نجده في خجل التونسيات والتونسيين في كتابة صكوكهم (شيكاتهم) المصرفية باللغة العربية. وبالإضافة إلى ثقافة استعمال اللغة الفرنسية عند التونسيات في التعامل مع الألوان والأرقام والمقاييس فإن هناك أيضا ميلا كبيرا عندهن لاستعمال لغة موليار بدل اللغة العربية في ذكر أسماء أيام الأسبوع. يجوز القول إن كل تلك الأمثلة تشير إلى أن هناك حضورا غير شعوري لرواسب الاستعمار اللغوي الفرنسي بين أغلبية التونسيات بصفة عامة، وذلك بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال (الذواوي ٢٠٠٦: ١٩٥ - ٢٤٢). وتلك هي أيضا خصوصية أخرى من بين عديد الخصوصيات في عالم لغة المرأة التونسية اليوم.

الفرنكوأراب اللغة الأم عند التونسيات :

يتجلى في تلك العينة المحدودة من الأمثلة على مدى تسرب وانتشار استعمال اللغة الفرنسية في الحديث العادي واليومي للتونسيات مدى **بُعد معظمهن** عن استعمال العامية التونسية العربية النقية كلغة أم. ومن ثم، يمكن اليوم تصنيف الخطاب اللغوي عند النساء التونسيات إلى **ثلاثة أنواع**: ١- العامية التونسية العربية **النقية** التي لا تستعمل إلا المفردات العربية. وهي ظاهرة نادرة جدا بين معظم التونسيات ٢- العامية التونسية التي تحتوي على عدد كبير من الكلمات والجمل الفرنسية. ومن ثمّ يمكن تسميتها **بالفرنكوأراب العامية** المتداولة في كامل المجتمع التونسي. ٣- **الفرنسية كلغة أم** في المقام الأول لعدد التونسيات. إنها ظاهرة موجودة بدون شك، وربما تكون ظاهرة أكثر انتشارا من الصنف الأول من العامية العربية التونسية النقية المشار إليها. وهكذا يتجلى أن اللغة الأم عند الأغلبية الساحقة من التونسيات ليست العامية التونسية العربية النقية، وإنما هي **الفرنكوأراب** (الذواوي ٢٤٢ - ١٩٥: ٢٠٠٦). قد يتفوق رصيد اللغة الفرنسية بكثير عند العديد من التونسيات على رصيد اللغة العربية في حديثهن كما رأينا في ما ورد في مقال السيد محمد بن رجب. وهو وضع ربما يندربخطر على العامية التونسية العربية الأصيلة. يرى ابن رجب «أن ما يجري على اللهجة الدارجة أمر غير مفهوم ولا هو مقبول. وإذا ما تهاونا أكثر فإن التونسي سيفقد لهجته شيئا فشيئا ولن يكون مفهوما في جانب من الأوساط الاجتماعية في تونس ثم لن يكون مفهوما في كامل البلاد العربية». ويتساءل أمام هذه الحالة اللغوية السيئة عن سبب **غياب الوعي في المجتمع التونسي** بهذا والقيام بالسياسات اللغوية الضرورية لتعويض فقدان اللهجة التونسية العربية الأصيلة. فيعلق السيد ابن رجب كاتباً: «وما يزعج حقا أن لا أحد يعمل على إيقاف هذا التيار الذي يتحرك بقوة جارفا اللهجة التونسية التي يعتبرها المختصون أقرب لهجة إلى اللغة العربية الصافية». وبالتعبير السوسiolوغي، فإن تشخيص صاحب البحث وتشخيص السيد ابن رجب يشيران إلى وجود **مشكل لغوي اجتماعي** بالمجتمع التونسي اليوم. إذ تتعرض لغة البلاد

إلى أخطار من طرف أهلها لا تهدد فقط مجرد استعمالها بل هي قد تعمل قي نهاية المطاف حتى على زوالها.

لا يحاول السيد ابن رجب تفسير أسباب غياب العمل على إيقاف ما يسميه بالتيار الجارف ضد اللهجة التونسية العربية النقية رغم أن تلك الأسباب تكاد تكون واضحة لأغلبية الملاحظين لملف التعريب في المجتمع التونسي بعد الاستقلال. تفيد الملاحظات حول علاقة التونسيات والتونسيين باللغة العربية أن هذه الأخيرة لم تكسب بعد أكثر من خمسة عقود من الاستقلال المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات التونسيات والتونسيين. ويعود هذا، كما بين صاحب الدراسة من قبل، إلى فقدان القيادة السياسية والنخب الثقافية التونسية للعهد الأول للاستقلال خاصة تحت سلطة القيادة البورقيلية إلى حمس كاف لصالح التحرر اللغوي والثقافي من الاستعمار الفرنسي. فنشأت نتيجة لذلك عقلية تونسية جماعية غير واعية حقا بطبيعة الاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي الذي يؤهل أكثر من غيره من أنواع الاستعمار الناس إلى الاستعداد والتهيؤ إلى القبول بالاستعمار، كما قال المفكر الجزائري مالك ابن نبي. ومن ثم، يفهم ترحيب تلك العقلية التونسية الجماعية باستمرار استعمال اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية. إذ تعتبر تلك العقلية السائدة اليوم بين الإناث والذكور أن استعمال التونسيات والتونسيين للغة الآخر/فرنسا هو ضرب من التفتح المتحضر. وهي قضية تحتاج للتحليل العلمي لكشف ما يمكن أن يوجد من مناهات الالتباس حولها عند التونسيات والتونسيين. وهذا ما حاولت أقسام هذا البحث القيام به وإبرازه بكثير من الشفافية والدقة (اللسان العربي ٢٠٠٧).

اللغة الأجنبية وبث مركب النقص :

ينتشر اعتقاد جماعي في المجتمع التونسي بأن تعلم اللغات الأجنبية أمر إيجابي بالكامل. وكما وقعت الإشارة، تؤكد البحوث في هذا الموضوع أن تعلمها ليس بالضرورة بالأمر الإيجابي في كل الظروف، ومن ثم قد يكون سلبيا على عدة مستويات (Abdelilah-Bauer 2008) تجهلها اليوم. حسب ملاحظات الباحث.

الأغلبية الساحقة من الفئات المتعلمة بالمجتمع التونسي. فعلى سبيل المثال، التقى صاحبُ هذه الدراسة في شهر حزيران ٢٠٠٨ زميلة جامعية تونسية لا يعرفها من قبل في إحدى الندوات بتونس العاصمة حول المرأة العربية. فبدأ يتجاذب أطراف الحديث حول مواضيع الندوة. فكانت تمزج كلامها كثيرا بالفرنسية. وبعد مهلة من الاستماع إليها على هذا النحو من المزج اللغوي، لم يكد الباحث يصبر على عدم الاحتجاج عليها، فخاطبها قائلا «إني سوف لن أستمر في الحديث معك إن أنت واصلت هذا النمط من الكلام، فلنا لهجتنا العربية التونسية النقية أو العربية الفصحى لغتنا الوطنية التي ينبغي استعمالها بيننا». فأردفت قائلة: «فهل تقبل المزج باللغة الإنجليزية» فأجابها أبدا يجب الالتزام باستعمال اللغة العربية في شكلها العامي والفصحى فردت عليه بالفرنسية قائلة: «?! même pour les intellectuels» أي حتى بين المثقفين؟

إن تأويل عالم الاجتماع لباطن تساؤل هذه الزميلة يشير إلى أن معظم المتعلمات والمتعلمين والمثقفات والمثقفين التونسيين من الجنسين قد تعلموا في المدرسة والجامعة والمجتمع وكأن اللغة العربية غير صالحة لكي تكون أداة تعبير على الفكر والثقافة والعلم بينهم. فأصبح هذا الموقف/الاتجاه ظاهرة جماعية تلاحظ بسهولة لدى عدد كبير منهم قبل وبعد الاستقلال وبعد الثورة. والزميلة المشار إليها مثال حي على علاقة الاغتراب المستمرة مع اللغة العربية التي يجدها المرء عند عدد كبير من المتعلمات والمتعلمين والمثقفات والمثقفين التونسيين. وتعني حالة الاغتراب، كما سبق ذكره، فقدان شعور الغيرة على اللغة العربية وندرة من يدافع عنها باقتناع وحماس بين العامة والخاصة. فيؤدي من ثم مثل هذا الموقف إلى مشاعر وسلوكات تحقيرية للغة العربية، ومن ثم بثُ الشعور بمركب النقص إزاء الذات والهوية باعتبار أن اللغة هي بطاقة الهوية الوطنية عند الشعوب، كما رأينا في مجتمعات الاتحاد الأوروبي.

ومن هنا، لايجوز علميا وموضوعيا اعتبار سلوك تنكر هذه الزميلة لاستعمال اللغة العربية انفتاحا على الآخر بل هو استلاب يمس أهم مكونات هوية الأفراد

والشعوب، ألا وهي اللغة. وبناء على التحليل الواقعي، فهناك شروط ضرورية لتعلم لغة الآخر كوسيلة للانفتاح عليه لا كصنارة للانسلاخ والانبثاق من الذات والهوية. ومن ثم، فلا تطرح معظم التونسيات والتونسيين قضية الشروط الضرورية للمحافظة على ما يسميه الباحث **المناعة اللغوية والثقافية** للمواطنين والمواطنات التونسيين ومجتمعهم كما تفعل المجتمعات المتقدمة إزاء تعلم اللغات الأجنبية. تتمثل هذه الشروط في محافظة لغتهم/ لغاتهم الوطنية على المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات الخاصة والعامة في مجتمعاتهم. ومن ثم لا توجد فرصة لظهور أعراض مركبات النقص عندهم بسبب تعلمهم للغات الأجنبية كما هو الحال بالمجتمع التونسي. وعليه، لا يجوز موضوعيا الترحيب بتعلم اللغات الأجنبية إذا أصبحت هذه اللغات مصدرا لجعل اللغة/ اللغات الوطنية في المكانة الثانية أو الثالثة بين أهلها، وفي مجتمعاتها وسببا لبث مركبات النقص في الأفراد ومجتمعاتهم وتشويش وإرباك هويتهم العربية.

شعار التفتح على الآخر :

وبناء على ما جاء من ملاحظات وبيانات سابقة للسلوك اللغوي لدى النساء التونسيات، فإن أغلبهن يرئى جوانب إيجابية في استعمال اللغة الفرنسية بلا حدود على حساب اللغة العربية. إذ يعتبرن ذلك النوع من الاستعمال للغة الآخر معلما من معالم عملية **التحضر والافتح** التي يفخر بها معظم التونسيات والتونسيين. فشعار التفتح على الآخر عبر استعمال لغته يشبه شعار الكاتب الجزائري كاتب ياسين الذي وقع تحليله في القسم السابق من هذا البحث. فبمقاييس حسابية بسيطة، يمثل حضور اللغة الفرنسية في استعمال التونسيات **خسارة اجتماعية ونفسية للغة العربية** وليس غنيمة كما يدعي كاتب ياسين. تتمثل هذه الخسارة في فقدان اللغة العربية لموقعها الأول في الاستعمال بين التونسيات، وفي خسارتها لمكانتها الأولى في قلوبهن. وهكذا، فلا يجوز بكل بساطة اعتبار هذا الوضع اللغوي المشين للغة العربية تفتحا حقيقيا على الآخر، بل هو أداة **استلاب للغة العربية** ومن ثم للهوية التونسية العربية لدى المرأة التونسية.

تصلح بعض المعطيات الواردة أعلاه لتفسير قبول الكثير من الأمهات والآباء التونسيين نصيحة معلمات مدارس البعثات الفرنسية بأن لا يتحدث هؤلاء بالعربية مع بناتهم وأبنائهم في منازلهم حتى يتقنوا الفرنسية جيدا على حساب تهمة إقصاء اللغة العربية. وكما أشار صاحب الدراسة، فالتحليل الموضوعي يؤكد أن التفتح الحقيقي المفيد على الآخر لا يتم بدون المناعة اللغوية والثقافية الذاتية للأفراد والمجتمع. ويتمثل ذلك بالتحديد في أن تحتل اللغة العربية في المجتمع التونسي المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات المواطنين والمواطنات ومؤسسات مجتمعهم. ووفقا لهذه المعايير، يمكن القول إن أغلبية التونسيات والتونسيين غير مؤهلين لرفع شعار التفتح الحقيقي على الآخر في أمن وأمان، وبتبادل ندي ومتكافئ معه.

دلالات النبذة الباريسية عند المرأة التونسية :

هناك إجماع بالمجتمع التونسي أن المرأة والرجل يختلفان في نطق حرف الـ (r) الفرنسي أثناء حديثهما بالفرنسية الصرفة أو أثناء مزج حديثهما بالعربية والفرنسية (الفرنكوأراب) أو عندما يقرآن كلمات وجمل اللغة الفرنسية. ويتمثل هذا الفرق النطقي بين الجنسين في أن المرأة تميل أكثر من الرجل إلى نطق حرف الـ (r) بنبذة باريسية l'accent parisien، أي نطقه بنبذة تشبه نطق حرف الغين (غ) في اللغة العربية (الذواوي 1981: 124 - 125, 137 - 107 :Dhaouadi 1996). وفي مقابل ذلك يميل الرجل التونسي أكثر إلى نطق حرف الـ (r) كما ينطق أساسا حرف الراء (ر) في لغة الضاد.

إن هذا الاختلاف النطقي بين الذكر والأنثى قد لا يبدو ذا أهمية بالنسبة للإنسان العادي، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لكل من عالم اللغة والاجتماع والنفس. فالفرق في نطق حرف الـ (r) بين الجنسين قد يكون له دلالات ذات أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية عند كل منهما. وبعبارة أخرى فنطق حرف الـ (r) بالنبذة الباريسية عند الأنثى ربما يرمز إلى حالة نفسية أو اجتماعية أو ثقافية أو بعضها

أوكّلها معا عند المرأة التونسية. وكذلك الشأن بالنسبة لنطق الـ(r) بنبرة الراء (ر) العربية عند الرجل التونسي.

وما كان لصاحب هذا البحث في حقيقة الأمر أن يفترض اقتران نبرة نطق الـ(r) عند كل من الجنسين التونسيين بدلالات نفسية واجتماعية وثقافية لو أن الفرنسيات والفرنسيين الباريسيّين كانوا مختلفين في نطق حرف الـ(r) أثناء حديثهم بلغتهم الفرنسية. لكن سكان باريس الأصليين مشهود لهم نساء ورجالا فتيانا وفتيات... بنبرة الغين (غ) عند نطقهم لحرف الـ(r) في لغة موليار. ومن ثم لا يجوز للباحث الاجتماعي الجاد أن يتبنى موقف اللامبالاة إزاء ظاهرة الاختلاف العام بين التونسية والتونسي في نطقهما لحرف الـ(r) عند استعمالهما للغة الفرنسية. أي أنه مطالب أن يسأل نفسه: لماذا يختلفان في نبرة نطق حرف الـ(r) والحال أن الفرنسي الباريسي ونظيرته الباريسية لا يختلفان؟ وكما أشار الباحث سابقا، فإن صمت علم الاجتماع العربي عن دراسة السلوك اللغوي العام عند النساء هو أحد الأسباب الذي يفسر حالة اللامبالاة إزاء الدلالات النفسية والاجتماعية والثقافية للنبرة الباريسية عند المرأة التونسية.

الحداثة وتقليد الآخر:

ولتحديد طبيعة العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية التي تلعب دورا حاسما في الاختلاف النطقي لحرف الـ(r) بين الجنسين نحتاج في المقام الأول إلى معرفة نوعية علاقة الأنثى بالذكر بالمجتمع التونسي. فالعلاقة بينهما لا تزال تشوبها في بعض الحالات، على الأقل، عدم المساواة حيث يتمتع الذكر أحيانا بنصيب الأسد. ويتجلى هذا الوضع، مثلا، في فقدان المساواة الكاملة بين الجنسين في التمتع بما يطلق عليه صاحبُ الدراسة مصطلح مكاسب الحداثة بمفهومها الغربي. فحرية الفرد في ممارسة التعرّف والاتصال بالجنس الآخر والتنقل أثناء الليل والنهار وحضوره في أي مكان يريد بكل حرية (المقاهي، قاعات السينما والمسرح...) وارتداؤه اللباس الذي يرغب فيه... كلها سلوكيات تقتزن بظاهرة الحداثة المعاصرة

في المجتمعات الغربية. وواضح أن الأنثى في المجتمع التونسي الحالي لا تتمتع بتساو كامل مع نظيرها الذكر في بعض تلك المكاسب الحداثية. إن وجود حالة اللامساواة هذه يساعد على تفسير الفرق النطقي لحرف الـ (r) بين التونسية والتونسي. فالحادثة أثبتت أنها قطب رئيسي برّاق وجذاب لاهتمامات الأفراد خاصة أفراد مجتمعات العالم الثالث الذين عايشوا أكثر من غيرهم عمليتي التعليم والتثقيف الغربيين. وهكذا، فالانجذاب والتوجه نحو عالم الحداثة عند الأنثى أصبح محرّكا رئيسيا يدفع بها إلى تقليد الغرب الغالب بما فيه على المستوى اللغوي كوسيلة تعويضية لفقدان المساواة الكاملة مع الرجل. وكما قال ابن خلدون «فالمغلوب مولع دائما بالافتداء بالغالب». ومن هذا الطرح التنظيري لمفهوم الحداثة وانعكاساتها على الجنسين يطرح الباحث الآن فرضيات أسباب الاختلاف النطقي لحرف الـ (r) بأكثر دقة بين الأنثى والذكر في تونس.

النبرة الباريسية جزء من كل :

١- فنطق حرف الـ (r) عند التونسية والتونسي هو جزء من ظاهرة لغوية كبرى تتجلى في تحديثهما بالفرنسية الصرفة أوفي مزج حديثهما بين العامية العربية والفرنسية (الفرنكوأراب) في نفس الوقت (الذوايدي ٢٠٠٦). يمكن هنا ذكر **صنفين من الفرنكوأراب: أ) الفرنكوأراب الذكورية وب) الفرنكوأراب الأنثوية**. وتتميّز هذه الأخيرة عن الأولى في كون أن الإناث التونسيات المثقفات والمتعلّقات على الخصوص يملن أكثر من نظرائهن الرجال إلى استعمال كمية أكبر من الكلمات والعبارات الفرنسية أثناء حديثهن بالعامية التونسية. ومن ثمّ، فالفرق في استعمال اللغة الفرنسية من طرف الجنسين لا يقتصر على مجرد الفرق في نطق حرف الـ (r) في لغة موليار بل يتعداه إلى عدد الكلمات والجمل التي يستعملها كل منهما من اللغة الفرنسية، كما وقعت الإشارة من قبل (Dhaouadi 1996: 107-125).

٢- لاتزال اللغة الفرنسية تمثل لكل من التونسية والتونسي شيئين: أ) إنها لغة الغالب وب) لغة الحداثة والعصرية. فكل من أ و ب هما عاملان يحفّزان الاثنين

على الانجذاب إلى استعمال اللغة الفرنسية أكثر ما يمكن من أجل **الرفع نفسيًا** من معنويات المغلوبة/ المغلوب. ففي استعمال لغة الآخر شعور بتحسين الذات ورفع من مكانتها.

٣- والسؤال الرئيسي هنا: لماذا **تتفوق** الأنثى التونسية المتعلمة في انجذابها إلى الفرنسية على نظيرها التونسي المتعلم؟ أي لماذا تتغلب عليه في نطق حرف الـ (r) بالنبرة الباريسية وفي عدد المفردات والجمل التي تستعملها من اللغة الفرنسية أثناء سلوكها اللغوي العام؟

الحمية الاجتماعية والنفسية والثقافية والسلوك اللغوي :

إن الإجابة على ذلك السؤال يحددها ما يريد أن يطلق عليه صاحب البحث إسم قانون الحمية الاجتماعية النفسية والثقافية. فعلى المستوى الاجتماعي تشكو المرأة التونسية الحديثة من **دونية مزدوجة**: (أ) فهي مثل نظيرها الرجل في موضع المغلوب بالنسبة للمستعمر الفرنسي القديم الغالب والغرب بصفة عامة و(ب) فهي تشكو من دونية ثانية مقارنة بزميلها الرجل من حيث مكانتها الاجتماعية عموماً وتمتعها بما سماه الباحث أنفاً بمكاسب الحداثة خصوصاً (Dhaouadi 2008). وبعبارة أخرى، فالبني الاجتماعية وقيم وأعراف وتقاليدها مجتمعة التونسية العربي المسلم تضع أمامها **عراقيل أكثر** بالنسبة لمحاولتها التقدم اجتماعياً وكسب رهان الحداثة. ففي هذه الظروف تجد نفسها معرضة أكثر من الرجل التونسي إلى ضغوط وإحباطات نفسية واجتماعية وثقافية. وسعيها منها لتجاوز وضعها الاجتماعي والنفسي والثقافي الخاص تلون إلى ما يمكن أن تسميه **بالحل الرموزي التعويضي**، أي أن حالة عجزها على تغيير وضعها الاجتماعي مباشرة جعلها تلجأ إلى **أحضان اللغة الفرنسية كعالم رموز لغوي تقدمي وتحديثي**. فتستعملها أكثر من نظيرها الرجل، وتتقن نطقها الصحيح بالكامل كما يفعل ذلك الباريسيون أنفسهم. واستعمال الأنثى التونسية للرموز اللغوية كحلّ لوضعها الاجتماعي المتأزم ليس بالشيء الغريب. فخطاب «الدعا» (الدعاء على) المتفشي بين الفئات

النسائية التونسية مثال آخر حيّ وناطق على ذلك (الذواوي ٢٠٠٦ : ٢٣١ - ٢٤٤). فاستعمالها المكثف للفرنسية وبالنبرة الباريسية في نطق حرف الـ (r) هو عبارة عن **احتجاج سلبي** ضد مجتمع ذكوري، من جهة، وتقليد بالكامل للآخر الفرنسي في لغته، من جهة ثانية.

أما محافظة التونسي على نطقه حرف الـ (r) بنبرة الراء (ر) العربية ففيها أكثر من إشارة ورمز على وضعه الاجتماعي والنفسي والثقافي في هذا الصدد. نعم، هو منجذب إلى استعمال الفرنسية، كما رأينا في القسم الثاني من هذا البحث، بسبب انجذابه للحدثة وبسبب وضعه المغلوب أمام الفرنسي والغربي عموماً. ومع ذلك يبقى وضعه الاجتماعي والنفسي أحسن من وضع زميلته المرأة كما بينت معطيات كثيرة في هذه الدراسة. وهذا ما **يسمح له بالتميّز** شيئاً ما عن الفرنسي الباريسي وهو يستعمل لغته. فهو ينطق في الغالب حرف الـ (r) بنبرة عربية لا بنبرة باريسية. ويجوز تأويل سلوكه اللغوي هذا بأنه ضرب من الإصرار على تعنته في التمسك بشيء من هويته حتى وهو يقلّد الآخر في استعمال لغته، أي أنه غير مهيب اجتماعياً ونفسياً وثقافياً - مثل نظيرته المرأة - على تقليد الآخر بالكامل. فعلى مستوى تقليد الآخر لغوياً، نحن، إذن، **أمام صنفين من التقليد: (١) تقليد بالكامل و(٢) تقليد منقوص**. وكل منهما حصيلة لنوع خاص من الحتمية الاجتماعية والنفسية والثقافية كما تمّ بيان ذلك. ويفصح كل من هذين التقليدين عمّا **تتعرض له هوية كل من الجنسين** من درجة انصهار في الآخر/ الفرنسي.

الحدثة مصدر مشاكل لدى التونسيات :

من المؤكد أن موقف التونسيات لصالح استعمال اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية كما وصف الباحث البعض من معالمه هنا، ويرجع إلى أسباب عديدة ذات صلة وطيدة بعلاقة المغلوب بالغالب كما جاء في مقدمة ابن خلدون. فالمرأة التونسية مثلها مثل الرجل التونسي هي في حالة المغلوب بالنسبة للفرنسي المستعمر القديم. إذن، فهي مرشحة لتقليد الفرنسيات والفرنسيين في لغتهم وفي نبدة نطقها

الباريسية وفي أشياء أخرى. وإضافة لما ورد ذكره من أسباب لذلك، فإن إحدى الباحثات الأمريكيات ترى أن ظروف الحداثة تؤدي إلى أمراض نفسية لدى المرأة التونسية (Hays 1987).

وبناء على التحليل النفسي الذي يتبناه صاحب الدراسة، فإن طرح التفسير النفسي يصبح أمراً مفهوماً ومشروعاً لوجود **صنفين من لغة الأم** لدى التونسيات المشار إليهما سابقاً: ١- الفرنكوأراب المشحونة بمفردات اللغة الفرنسية وجملها عند الأغلبية الساحقة من التونسيات المتعلّقات كأمهات أو كعازبات و٢- الفرنسية كلغة الأم عند الكثير من التونسيات: يصلح هذا **الوضع اللغوي المأزوم** ذو الجذور النفسية بين معظم التونسيات لتفسير ضعف تعاطفهن المتحمس لاستعمال اللغة العربية أو العامية التونسية العربية النقية. وبغياب مثل ذلك التعاطف مع اللغة الأم (اللغة العربية أو العامية النقية) عند أغلبية الأمهات التونسيات **تتضرر بالتأكيد علاقة أطفالهن باللغة العربية** في شكلينها الفصحى والعامي. ومن ثم، تتأثر سلباً علاقة الأجيال الصاعدة باللغة العربية، ومن ثم بانتسابهم إلى الهوية العربية لوجود علاقة وثيقة بين اللغة والهوية كما تبين أقسام هذا البحث.

فبعد هذا التحليل النفسي الاجتماعي للسلوك اللغوي الخاص للمرأة التونسية يتضح أن **هذا السلوك هو نتيجة لمشاكل ثقافية ونفسية ومجتمعية** تعاني منها النساء التونسيات أكثر من الرجال في المجتمع التونسي. وبعبارة أخرى، يجوز القول بأن الركض وراء استعمال اللغة الفرنسية يشير إلى أعراض اجتماعية وثقافية ونفسية غير سوية. ومنه، فلا ينبغي علمياً وموضوعياً التباهي والافتخار بها كما تفعل الكثير من التونسيات. إذ إن ذلك الركض هو في نهاية المطاف مؤثر على مخزون مشاكل ثقافية ونفسية واجتماعية لعب ويلعب فيها تسلط الاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي دوراً أكبر وأبرز على **النوع / الجندر الأنثوي**.

إن دراسات العلوم الاجتماعية تجمع أن هناك علاقة وثيقة بين اللغة والهوية الجماعية للشعوب (Kivisto 2002 : 14). ومن ثم، فالاختلال في هاته العلاقة بين

التونسيات واللغة العربية هو مصدر أساسي لاحتمال إفراز هوية نسائية تونسية مضطربة ومرتبكة بالنسبة للانتماء القوي للهوية العربية. إذ تشير بحوث هذه العلوم، كما تفصل القول صفحات هذه الدراسة، أن العلاقة بين اللغة والهوية علاقة قوية جدا. ويجوز على هذا الأساس توقع تأثر الهوية العربية للمرأة التونسية سلبا بسبب ضعف علاقة هذه الأخيرة باللغة العربية. أي أن ضعف هذه العلاقة مرشحة بقوة لكي تنقص من تماسك وصلابة معالم الهوية العربية لأغلبية النساء التونسيات المثقفات والمتعلّقات في نظام التعليم المزدوج اللغة والثقافة أو الأكثر تفرنسا على الخصوص.

خلاصة القول

يمكن إيجاز مقولة هذا البحث في بعض الملاحظات والتوصيات الرئيسية. يجوز القول بأن اللغة هي المحدد الأول لهوية الإنسان، ولذا سمي القدماء الإنسان حيوانا ناطقا: مستعملا للغة المنطوقة المميزة لهويته عن بقية الكائنات الأخرى. وأضاف القسم الأول لهذه الدراسة جوانب أخرى منبثقة من اللغة تحدد في نهاية المطاف هوية الإنسان في أكمل صورها. وتتمثل تلك الجوانب في منظومة **الرموز الثقافية**: اللغة والفكر والدين والمعرفة/ العلم والقيم والأعراف الثقافية.. التي لا يكون لها وجود في غياب اللغة البشرية. ومن ثم، أكد البحث أن **اللغة هي أم الرموز الثقافية جميعا**. وهكذا يتجلى أن التشخيص الوافي لهوية الإنسان يكون في وصفه بأنه **ذو هوية لغوية رموزية ثقافية في الصميم**. ونظرا لمركزية اللغة في تحديد هوية الإنسان، فإن المجتمعات التي تسود فيها لغة وطنية واحدة تعرف هويتها بتلك اللغة كما هو الحال في بعض المجتمعات الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا. ويبقى تأثير اللغة بارزا في تشكيل هوية الأفراد والمجتمعات عندما توجد أكثر من لغة وطنية في مجتمع واحد. فیتأثر مواطنو هذا الأخير كثيرا بلغتهم الخاصة/ المحلية في تحديد هويتهم كما هو الأمر بالنسبة للأكراد في العراق ومواطني مقاطعة كيبيك في كندا. وتناسقا مع أهمية دور اللغة في تحديد الهوية، فإن معطيات هذا البحث تفيد أن حضور اللغات الأجنبية محدود التأثير على تغيير هويات المجتمعات والأفراد الذين يستعملون كثيرا اللغات الأجنبية مثلما هو حال انتشار استعمال اللغة الفرنسية في المجتمعات المغاربية المعاصرة التي لا يكاد يوجد فيها من يتخلى عن هويته الجزائرية أو التونسية أو المغربية أو الموريتانية لصالح الانتساب إلى الهوية الفرنسية. لكن انتشار استعمال اللغة الفرنسية في هذه المجتمعات له أضرار كثيرة على اللغتين الوطنيتين: العربية والأمازيغية. وتتجلى الآثار السلبية لانتشار اللغة الفرنسية على اللغة العربية في المجتمع التونسي الحديث، كما يتبين ذلك في القسمين الثاني والثالث لهذا البحث. ونظرا للعلاقة

الوثيقة بين اللغة والهوية، فإن الاستعمال الواسع للغات الأجنبية لا يخلو من إحداث بعض التشويش والإرباك، على الأقل، في تماسك هويات الأفراد والجماعات والمجتمعات. يصدق هذا كثيرا على النخب السياسية والثقافية ذات التعليم الغربي لغة وثقافة وفكرا في مجتمعات المغرب العربي. لقد بين البحث أن ذلك يعود في المقام الأول إلى ما أطلق عليه صاحبُ البحث مفهوم **الازدواجية اللغوية الأمانة** التي طالما تقترن لدى تلك النخب بالأعراض الآتية:

الانتماء إلى ثقافتين دون القدرة على تعريف الذات بالانتماء الكامل لأي منهما والتذبذب المزدوج الذي يتمثل في رغبتهم كسب علاقة حميمة كاملة مع الغرب ومع مجتمعهم في نفس الوقت دون النجاح في أي منهما. كما يتصف خريجو التعليم الحمال للازدواجية اللغوية الأمانة بشخصية منفصلة ناتجة عن معاشة عاملين قويين متعاكسين: الارتباط بالثقافة العربية والانجذاب إلى الثقافة الغربية. وأخيرا تظهر تلك النخب عداً سافراً للاستعمار الفرنسي، لكن يقابله في نفس الوقت ترحيب كبير بلغته وثقافته.

ونظرا للانتشار الكبير للغة الإنجليزية في الخليج العربي خاصة، فإن استشراف ظهور ازدواجية لغوية أمانة بين سكان المجتمعات العربية الخليجية ولدى نخبتها على الخصوص أمر منتظر الوقوع في الحاضر والمستقبل بين الأجيال الشابة، ومن ثم لدى أجيال هذا القرن. وهكذا يجوز القول، بأن مجتمعات المغرب العربي الفرنكوفونية ومجتمعات الخليج العربي هي **أكثر مجتمعات الوطن العربي ترشحا للتعرض للمشاكل مع هويتها العربية**. إذ هناك قانون شبه حتمي في المسألة اللغوية. يؤكد هذا القانون أنه من الصعب تبرئة الاستعمال الواسع للغات الأجنبية تماما من التأثير السلبي على هويات الكثيرين من الناس في مجتمعاتها. تتمثل بعض معالم هذا التأثير السلبي، مثلا، في وضع حد - لدى العديد منهم - للإيمان بالهوية الحالية كمسلمة من المسلمات أو إنكارها بالكامل. إن السلوكات اللغوية للتونسيات والتونسيين المذكورة في القسمين الثاني والثالث لهذا البحث

تضع النقاط على الحروف بالنسبة لتشويش علاقتهم مع اللغة العربية، ومن ثمّ بتشويش علاقتهم مع الهوية العربية، بسبب العلاقة الوثيقة بين اللغة والهوية موضوع هذا البحث.

تتمثل إمكانية التخفيف من هذا الوضع أو الخلاص منه في المجتمعات المغاربية والخليجية على الخصوص في تبني سياسات لغوية جديدة تحقق المناعة اللغوية والثقافية لتلك المجتمعات. ولا يعني هذا أبدا الدعوة إلى طلاق تعلم اللغات الأجنبية وإغلاق باب التفتح على الغرب خاصة. وإنما يعني أن لا يؤدي تعلم اللغات الأجنبية إلى تحويل اللغة العربية إلى لغة ثانية أو ثالثة في مجتمعاتها. وبعبارة أخرى، فهذه المجتمعات المغاربية والخليجية وغيرها من المجتمعات العربية مطالبة أن تتبنى ما سمّاه الباحث الازدواجية أو الثلاثية اللغوية اللوامة كبديل يضمن المحافظة على ما أطلق عليه صاحبُ الدراسة مصطلح المناعة اللغوية الثقافية. فتطبيق الازدواجية اللغوية اللوامة في المجتمعات العربية يجعل المواطنين ومجتمعاتهم يغارون على لغتهم العربية ويتحمسون للدفاع عنها، فيلوم بعضهم البعض حتى على ندرة عدم احترام البعض منهم للغة العربية، لغتهم الأولى. فهذه الازدواجية اللغوية تحرص كل الحرص وبحماس كبير على صيانة مناعة اللغة الأم/ العربية وتطورها ونموها متخذة من أجل ذلك كل السبل الضرورية من توعية مجتمعية باللغة العربية كرمز وطني مقدس مثل علم البلاد ومن المطالبة بسنّ سياسات لغوية تصون اللغة العربية من انحدار مكانتها نفسيا واجتماعيا واستعمالا إلى المرتبة الثانية أو الثالثة بين أهلها وذويها.

المراجع

باللغة العربية:

- الحاج، كمال يوسف (١٩٦٧) في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهار للنشر ش ٥ ل.
- الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية (٢٠٠٥). الجزائر، الميزان للنشر والتوزيع.
- الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر واليونسكو ١٩٨٤.
- الذوايدي، محمود (٢٠٠٢) التخلف الآخر: عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث، تونس، الأطلسية للنشر.
- الذوايدي، محمود (١٩٩٥): «في مخاطر الازدواجيات اللغوية والثقافية على اللغة والهوية الجماعية»، الفكر العربي السنة السادسة عشرة، العدد ٨٠.
- الذوايدي، محمود (٢٠٠٨) الهاتف الجوال والحاسوب وترسيخ التخلف الآخر في المجتمعات المغاربية، المستقبل العربي، العدد ٥٦، تشرين الأول، ص ٩٧ - ١٠٧.
- الذوايدي، محمود (١٩٩٧): في محددات الهوية الجماعية وإشكالياتها: المجتمع التونسي الحديث نموذجاً، المستقبل العربي، عدد ٢١٧، آذار/مارس.
- الذوايدي، محمود (٢٠٠٦) الوجه الآخر للمجتمع التونسي الحديث، تونس، تيرالزمان.
- الذوايدي، محمود، الفرونكوأراب الأنثوية بالمغرب العربي، شؤون عربية، ١٩٨١.
- الذوايدي، محمود، الفرونكوأراب الأنثوية المغاربية كسلوك احتجاجي على اللامساواة مع الرجل وكرمز لكسب رهان الحداثة، دراسات عربية، العدد ٣/٤ كانون الثاني/شباط ١٩٩٦.
- الفهري، عبد القادر الفاسي (٢٠٠٥) أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، الرباط، منشورات زاوية للفن والثقافة.
- القاسمي، علي (٢٠٠٣): تعريب التعليم العالي - هل ضروري حقاً؟- المنهل، العدد ٥٨٥، مارس أبريل.

- **اللسان العربي وإشكالية التلقي** (كتاب جماعي ٢٠٠٧) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- **اللغة العربية والوعي القومي** (كتاب جماعي ١٩٨٤) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- **اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل** (كتاب جماعي ٢٠٠٥) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- **النوع الاجتماعي والتنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا** (كتاب جماعي) واشنطن، البنك الدولي (بالإنجليزية) تُرجم إلى العربية ونُشر من طرف دار الساقى، بيروت ٢٠٠٥.
- **أنجرس، مورييس (٢٠٠٤) منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، الجزائر، دار القصة للنشر.**
- **بوقمرة، محمد هشام (١٩٨٥) القضية اللغوية في تونس/ الجزء الأول، تونس، سلسلة الدراسات الأدبية رقم ٦.**
- **دستور الجمهورية التونسية (١٩٩٨) تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.**
- **عبد السلام، أحمد (١٩٩٤) المدرسة الصادقية والصادقيون، قرطاج، بيت الحكمة.**
- **عبد الوهاب، حسن حسني (١٩٦٥) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية/ القسم الأول، تونس، مكتبة المنار**
- **رجب، أحمد إيمان: الهوية: تأثير الثقافة والدين والتقاليد في العلاقات الدولية، ملحق مجلة السياسة الدولية، أكتوبر ٢٠١١.**
- **فهرس مجلة المستقبل العربي: من السنة الأولى حتى السنة الخامسة والعشرين (الأعداد ١ - ٢٩٠: مايو ١٩٧٨ - أبريل ٢٠٠٣).**
- **وافي، علي عبد الواحد (١٩٤٦) فقه اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.**
- **وافي، علي عبد الواحد (١٩٥١) اللغة والمجتمع، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.**

باللغات الأجنبية :

- Abdelilah -Bauer, B.(2008) *Le défi des enfants bilingues :Grandir et vivre en parlant plusieurs langues*, Paris, La Découverte.
- Alatas Syed Hussein (1972) "The Captive Mind in Development Studies", *International Social Sciences Journal*, 14 (1):925-.
- Chomsky, N.(1975) *Reflections on Language*, New York, Pantheon..Clement, R. » Aspects socio-psychologiques de la communication interethnique et l'identité sociale » et Landry, R. « Bilinguisme additif, bilinguisme soustractif et vitalité ethnolinguistique » in *Recherches Sociologiques : identité ethnique et culturelle*, vol. XV, no.21984 ,3/.
- Compiègne, I.(2011) *La société numérique en question*, Auxerre Cedex, Editions Sciences Humaines.
- Coulmas, F(2008) *The Handbook of Sociolinguistics*, Maldan, Blackwell Publishing.
- Dahrendorf, R.(1974) *Homo Sociologicus*, Hamburg, Westdeutscher Verlag.
- Davidson, I. & Noble, W (1989) "The Archaeology of Perception: Traces of Depiction and Language, *Current Anthropology*, 30, 125156-.
- Dhaouadi, M.(2002) *Globalization of the Other Underdevelopment: Third World Cultural Identities*, Kuala Lumpur, A.S.Noordeen, 2002.
- Dhaouadi, M, "Arab Cultural Concepts for Cultural Sociology", *Contemporary Arab Affairs*, Vol.I, No.1, January 2008, pp.7682-.
- Dhaouadi, M, Un essai de théorisation sur le penchant vers l'accent parisien chez la femme tunisienne, *International Journal of the Sociology of Language*, No.122, 1996, pp.107125-
- Grosjean, F(1982) *Life with Two Languages: An Introduction to Bilingualism*, Cambridge, Harvard University Press.
- Hays, P. (1987) *Modernization, Stress and Psychopathology in Tunisian Women* (Unpublished Ph.D Thesis) University of Hawai.
- Holmes, J. & Meyerhoff, M., Eds,(2005) *Handbook of Language and Gender*, Oxford, Blackwell Publishing.
- Jahoda, M.(1966), and Warren, N., (eds) *Attitudes*, Middlesex, Penguin Books.

- Kivisto, P.(2002) *Multiculturalism in Global Society*, Oxford, Blackwell Publishing.
- Kraus, P (2008) *A Union of Diversity: Language, Identity and Polity-Building in Europe*, Cambridge, Cambridge University Press
- Kroll, J. & Groot, A. Editors (2009) *Handbook of Bilingualism: Psycholinguistic Approaches*, Oxford, Oxford University Press
- Leclerc, J.(1986), *Langue et société*, Laval, Mondia Editeurs
- Manis, J. & Meltzer, B. Editors (1968) *Symbolic Interaction; A Reader in Social Psychology*, Boston, Allyn & Bacon.
- Merton, R. and Sills, D., Editors (1991) *The Macmillan Book of Social Science Quotations*, New York, Macmillan Publishing Company
- Pinker, S.(1995) *the Language Instinct: How the Mind Creates Language*, New York, Harper Perennial.
- Porter, J, “Canadian Character in the Twentieth Century”, in *Annals* (Mar.1967), 49.
- Ruano-Boballan, J.C (1998), (coordinateur) : *L'identité : l'individu, le groupe, la société*. Editions Sciences Humaines, Auxerre.
- Ruf.W.K,(1974),« *Dépendance et aliénation culturelle* » in *Indépendance et Interdépendance au Maghreb*, CNRS, Paris
- Schur, E.M.(1980), *The Politics of Deviance*, Englewood Cliffs, N.J.Prentice-Hall.
- Seidman, S. (2008) *Contested Knowledge: Social Theory Today* (4th edition), Oxford, Blackwell Publishing
- Semashko, L. and others (2006) *International Sociology Review of Books*, Vol.2, no.6, pp.82938-.
- Simon, J.(1969) *Basic Research Methods in Social Science*, New York, Random House.
- Wolff, J., "Cultural Studies and the Sociology of Culture", *Contemporary Sociology*, Vol.28, no.5, September1999, pp.499506-.
- Wurm, S.(2001) *Atlas of the World's Languages in Danger of Disappearing*, Paris, Unesco Publishing.

مراجع مختارة

باللغة العربية

- التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية ٢٠١٠، بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ص ٦٦١ - ٦٦٥.
- الجبائي، علي عبد الله (١٩٩٦) الفكر الأنثروبولوجي في التراث الفكري العربي، القاهرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- جوزيف، جون ٢٠٠٧ اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، الكويت، عالم المعرفة ٣٤٢.
- فهم، حسين (١٩٨٦) قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ٩٨.
- البيض، سالم (٢٠٠٩) الهوية: الإسلام، العروبة، التونسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- مصطفى، نادية وعبدالفتاح، سيف الدين (٢٠٠٦) اللغة والهوية وحوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات وجامعة القاهرة.
- نوري، شاكر (٢٠١١) منفى اللغة: حوارات مع الأدباء الفرانكوفونيين، الإصدار ٤٨، دبي، دبي الثقافية.
- ولد خليفة، محمد العربي (٢٠٠٣)، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

باللغات الأجنبية:

- Calvet, L-J (1987) *La guerre des langues et les politiques linguistiques*, Paris, Payot.
- Corballis, M. (2002) *From Hand to Mouth: the Origins of Language*, Princeton, NJ, Princeton University Press.
- Fitouri, C (1983) *biculturalisme, bilinguisme et éducation*, Paris, Delachaux et Niestlé.
- Gauthier, G/editeur (2000) *Langues : une guerre à mort* (Panoramiques), Paris, Editions Corlet.
- Giglioli, P/editeur (1985) *Language and Social Context*, New York, Viking Penguin Inc.
- Grandguillaume, G (1983) *Arabisation et politique linguistique au Maghreb*, Paris, Maisonneuve & Larose.
- Ruhlen, M (1994) *L'origine des langues*, Paris, Débats Belin.
- Tannen, D (1990) *You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation*, New York, William Morrow & Company, Inc.

consequences to that: 1- the widespread emergence of what I call Conspiring bilingualism which makes most Tunisians inclined to use French instead of Arabic, for example, in writing their bank checks, in pronouncing numbers and signing. Furthermore, the Tunisian majority hardly manifests psychological and social attitudes as well as behaviors in favor of the defense of Arabic. This set of indicators appears to be more pronounced among Tunisian women. It is bound to have negative impact on the relation of the younger generation with Arabic. 2- Conspiring Tunisian bilingualism is often associated with a set of behaviors which alludes to various signs of a troubled Tunisian identity ranging from light confused identity, split personality to full denial of having Arab identity particularly among political, intellectual and feminine elites of bilingual Western oriented education as explained in parts two and three of this paper. As such, symptoms 1 and 2 express that Tunisians before and after the Revolution still have a real problem with their national language. In opposition to that, Tunisian graduates of the Zeituna education system show strong commitment for the Arab identity, because Arabic is the primary language of learning and teaching in the Zeituna educational institutions. This educational system or a similar one is the appropriate fit alternative for the solution of the problem of Arabic in today Tunisia.

Key Words : language, Man's identity, Tunisian society, Conspiring bilingualism, troubled Tunisian identity.

* The Relationship between Language and Identity in Theory and Reality: Tunisian Society as a Case Study

Identity and Language: with Reference to Theory and Reality: A Tunisian Society Model

Abstract*

This research paper presents a new epistemological perspective on the relation between languages and the identities of individuals and societies. This perspective states that man's use of language in both written and oral forms is what distinguishes most the human being from the rest of living creatures. As such, language is the first determinant factor of man's identity as a unique being on earth. From a basic research view, man is considered a linguistic being by nature. This theoretical outlook on language's crucial role in shaping the features of man's identity is hardly referred to in modern Western social sciences as pointed out in the first part of this paper. Indicators based on empirical observations from the reality of individuals and societies strengthen the credibility of the strong link between language and identity called for by the assumption of the theoretical level. Many field research observations show that individuals in unilingual societies define their identities according to that single language as found, for instance, in Germany, France and Italy. Multilingual societies support as well the idea of the firm relation between languages and identities among individuals and societies as the cases of Iraq and Canada show. Kurdish Iraqis manifest stronger belonging to their Kurdish identity than to the Arab Iraqi identity, because Kurdish is their first language. Likewise, Quebecers in Canada give priority to their French speaking identity. In its second and third parts, this piece of research studies bilingualism in Tunisian society which uses Arabic (the national language) and French (a foreign colonial language). Despite the widespread use of the latter especially among the elites as well as the superior and the middle classes, there of people's identity is hardly any tendency among them to desire having a French identity. This would imply that the native language remains the decisive determining force of people's identity as seen above. Yet, the widespread French use in Tunisia is far from being a safe practice for the normal relation between Tunisian women and men and Arabic. There are two

Author

Professor Mahmoud Habib Dhaouadi ,

- Phd in sociology (the Notion of Modernization in American Sociology, University of Montreal, Canada 1979.
- A professor of sociology at the University of Tunis, Tunisia.

Publications :

First : Books

A-Books in English and French :

- 1 - L'univers des symboles humains : l'Autre sous-développement Maghreb et au Tiers-monde, Tunis, L'Or du Temps, 2010.
- 2 - Globalization of the Other Underdevelopment : Third World Cultural Identities, Tunis, Kuala Lumpur, A.S. Noordeen, 2002,
- 3 - New Explorations into the Making of Ibn Khaldun's Umran Mind, Kuala Lumpur, A.S.Noordeen, 1997.
- 4 - Toward Islamic Sociology of Cultural Symbols, Kuala Lumpur, A.S.Noordeen 1996.
- 5 - Cultural Sociology within Innovative Treatise: Islamic Insights on Human Symbols, Lanham, University Press of America 2013.

B-Books in Arabic :

- 6 - The Muqaddimah in Cultural Sociology within an Arab-Islamic Outlook, Beirut, University Study Foundation, 2010,
- 7 - The Other Face of Modern Tunisian Society, Tunis, L'Or du Temps 2006.
- 8 - The Concept of Culture from Islamic and Social Science Perspectives, Beirut, Dar al Kitab al Jadid Ltd 2006.
- 9 - New Explorations into the Determinants of Ibn Khaldun's Mind, Tunis, Centre Universitaire de Publications, 2003.
- 10 - The Other Underdevelopment: the Globalization of the Cultural Identities Crisis in the Arab World and the Third World, Tunis, Al- Atlasiya Publications, 2002.
- 11 - L'innovation dans les sciences sociales: la marginalité créatrice, Paris, 1991. I translated it into Arabic, Damas, Dar Talas for Studies & Publications, 1997.
- 12 - Western Sociology in Question and on Trial. I translated it from English into Arabic, Herndon/ USA, International Institute of Islamic Thought, 2011.
- 13 - Readings into the Shelves of Human & Social Sciences Library, Tunis, Al Atrash Group of Specialized Books, 2011.
- 14 - Readings into the Shelves of the Library of Criminal and Deviant Behaviours , Beirut, University Study Foundation, 2012.
- 15 - Conspiring Bilingualism in the Arab World, Tunis, L'Or du Temps, 2013.
- 16 - Book -in- Brief in Arabic of the English book (Contested Knowledge :Social Theory Today), Herndon/USA, International Institute of Islamic Thought ,2014.

Second: Six Published Research Papers:

- 1 - The thesis "Great Thinkers Leave this World, but they Remain" in the Perspective of Cultural Symbols Theory, Al Mustaqbal Al Arabi, no.396, Feb.2012.
- 2 - "The Position of Cultural Symbols in Human Nature", Ilm al Nafs (Psycholgy – Cairo) double issue 94-95, July – September 2012.
- 3 - "Theory of Human Symbols and the Rules Governing the Influence of Collective Behavioral Patterns on People's Behaviors", Journal of Social Sciences, Vol.39, no.1,2011.
- 4 - "The Manifested Lessons /Ibar in Ibn Khaldun's Work", Al Mustaqbal Al Arabi, no.329, July 2006.
- 5 - "Ibn Khaldoun : le Printemps arabe des sciences sociales et humaines", Dirasat, Vol.40, no 1, 2013.
- 6 - "Alternative Discourse on the Study of Culture", Journal of Social Sciences , Vol. 40, no 3

Monograph 390

**Identity and Language
with Reference to Theory and Reality:
A Tunisian Society Model**

Prof. Mahmoud Althawadi

Department of Sociology - University of Tunis

Tunisia

عزيزي القارئ:

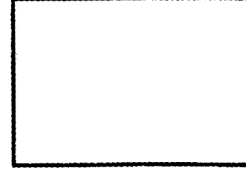
يسر أسرة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية أن ترحب بكم وتتقدم لكم بأطيب التحيات، شاكرين لكم سلفاً تعاونكم من أجل تطوير الحوليات؛ وذلك من خلال إجاباتكم عن هذه الأسئلة:

- ١ - العمر: سنة
- ٢ - الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- ٣ - بلد الإقامة: ☐ الكويت ☐ خارج الكويت (انكر)
- ٤ - التعليم:
- ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه ☐
- ٥ - طبيعة المهنة:
- أكاديمي ☐ إداري ☐ مهني ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٦ - مواضيعك المفضلة:
- أدبية ولغوية ☐ سياسية ☐ اجتماعية ونفسية ☐
- تاريخية ☐ ثقافية ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٧ - كيف تحصل على الحوليات؟
- شراء ☐ اشتراكاً ☐ استعارة ☐
- ٨ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟ ☐ نعم ☐ لا
- ٩ - رأيك في حجم الحوليات؟
- كبير ☐ متوسط ☐ صغير ☐
- ١٠ - كيف ترى موضوعات الحوليات؟
- متنوعة ☐ غير متنوعة ☐
- ١١ - ما الطابع العام للحوليات من وجهة نظرك؟
- لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐
- ١٢ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٣ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٤ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٥ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٦ - اقترحاتك لتطوير الحوليات وتطوير خدماتها للقارئ:

.....

.....

.....



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

ص.ب: 17370 الخالدية

الكويت 72454

دولة الكويت



المجلة العربية للعلوم الإدارية



Arab Journal of Administrative Sciences

رئيس التحرير: أ. د. آدم غازي العتيبي

- First issue, November 1993. صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣ .
- Refereed journal publishing original research in Administrative Sciences. علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصلية في مجال العلوم الإدارية.
- Published by Academic Publication Council, Kuwait University, 3 issues a year (January, May, September). تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت ثلاثة إصدارات سنوياً (يناير - مايو - سبتمبر).
- Contributes to developing and enriching administrative thinking and practices. تسهم في تطوير الفكر الإداري واختبار الممارسات الإدارية وإثرائها.
- Listed in several international databases. مسجلة في قواعد البيانات العالمية.
- Reviewed periodically by international referees for high academic standards. تخضع للتقييم الأكاديمي الخارجي.

الاشتراكات

الكويت: 3 دنائير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات - الدول العربية: 4 دنائير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات
الدول الأجنبية: 15 دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب: 28558 الصفاة 13146 - دولة الكويت
هاتف: (965)24827317 - أو 4416 / 4734 (965)24984415 - فاكس: (965)24817028
E-mail: ajas@ku.edu.kw - Web Site: <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajas>

المجلة التربوية



مجلة فصلية، تخصصية، محكمة
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
رئيس التحرير: أ. د. عبدالله محمد الشيخ



نُشِرَ:

- البحوث التربوية المحكمة
- مراجعات الكتب التربوية الحديثة
- محاضر الحوار التربوي
- التقارير عن المؤتمرات التربوية
- وملخصات الرسائل الجامعية

❖ تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
❖ تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت: ثلاثة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول العربية: أربعة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول الأجنبية: خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب. ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٢٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ - ٤٤٠٩) - مباشر: ٢٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٢٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: joe@ku.edu.kw

إصدار شهري

« تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر »

نعنى بشؤون الأنظمة والمحاماة



أهداف المجلة :

- * طرح ومعالجة شتى قضايا العصر ذات الطابع الشرعي والقانوني مع التركيز على إبراز الفقه الإسلامي وتبيان تميزه وشموليته في معالجة تلك القضايا .
- * أن تكون ساحة إعلامية للنوي الإختصاص الشرعي والقانوني يقدمون من خلالها البحوث والدراسات ، فضلاً عن التحقيقات الصحفية المتميزة ذات العلاقة .
- * نشر الوعي بأهمية المحاماة ، وحاجة الناس إليها والتأكيد على أن المحاماة علم ، وفن ، ورسالة .

دعوة للمشاركة :

- * يسر « المحامي » دعوتكم للمساهمة عبر صفحاتها في كل الشؤون الشرعية والقانونية من بحوث ودراسات ومقالات أو تحقيقات .
- * تقدم المجلة مكافأة عن المقالات والمواضيع التي تقبلها للنشر .

رئيس التحرير :

المحامي / طارق المزني

سكوتير التحرير :

حسين العسكر

مسؤول اشتراكات :

خالد يسر

الهيئة الاستشارية :

فضيلة الشيخ / عبد الله البسام

فضيلة الشيخ / مصطفى الزرقا

فضيلة الشيخ / سعد البريك

سعادة الدكتور / سعود الدريب

سعادة الأستاذ / عبدالله السبهان

سعادة الدكتور / عبدالفتاح خضر

سعادة المستشار / أحمد منير فهمي

الاشتراكات: المملكة العربية السعودية : ١٠٠ ريال في السنة (للأفراد والمؤسسات)

الدول الأخرى : ٢٧ دولار أمريكي (للأفراد والمؤسسات)

تدفع الاشتراكات باسم المجلة ، بشيك مسحوب على أحد المصارف السعودية أو بتحويل مصرفي باسم رئيس التحرير : حساب رقم ٥٦٤٩/١ - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - الرياض - فرع الروضة .

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير : ص . ب ٦٨٧٤ الرياض (١١٤٥٢)

هاتف : ٤٦٥٢٧٢٥ (٩٦٦١) / فاكس : ٤٦١٣١٥٢ (٩٦٦١)

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. بدر عمر العمر

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون
منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف علوم البحث والدراسة .

ومن أبوابها

- البحوث العربية.
- البحوث الإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية:
- ماجستير - دكتوراه.
- عرض الكتب ومراجعتها .
- التقارير : مؤتمرات - ندوات
- البيبلوجرافيا العربية.

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

Tel.: (+965) 24833215 - 24984066 - 24984067
www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps

Fax: (+965) 24833705

P.O. Box 17073 Al-Khaldiah, 72451 Kuwait
E - mail : jgaps@ku.edu.kw

www.ku.edu.kw

مَجَلَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدراسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مَحْكَمَةٌ تَصْدُرُ عَنْ مَجْلِسِ النُّشْرِ الْعِلْمِيِّ بِجَامِعَةِ الْكُوَيْتِ
تُعْنَى بِالْبَحْثِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: **محمد العزيز خليفة الفصاح**

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤ هـ - أبريل ١٩٨٤ م

- * تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
- * تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوى شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
- * تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
- * تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ - ٢٤٩٨٨٠٩٥
فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: <http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS>

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html



مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت - تأسس عام ١٩٩٤م



مدير المركز
أ. د. يعقوب يوسف الكندري

يصدر عن المركز

- ❖ سلسلة الإصدارات الخاصة.
- ❖ سلسلة إصدارات الاستكتاب.
- ❖ سلسلة ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه).
- ❖ سلسلة إصدارات لنشر بحوث الندوات والمؤتمرات.
- ❖ سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.
- ❖ مجلدات وثائق مختارة لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.

سلسلة الإصدارات

سلسلة علمية محكمة

تُعنى موضوعاتها بمنطقة الخليج والجزيرة العربية، وتهدف إلى إبراز خصوصيتها، ورصد قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة في ضوء المتغيرات الجارية.

قواعد النشر

- أولاً :** أن يكون البحث أو (الدراسة) معنية بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في المجالات الآتية: السياسة، الاقتصاد، الجغرافيا، التاريخ، علم النفس، الاجتماع، الأنثروبولوجيا التربوية، اللغة العربية وآدابها، الثقافة، البيئة، القانون، الإعلام، التراث (الآثار والحضارة والفنون) .
- ثانياً:** أن تمثل الدراسة إضافة جديدة إلى حقل التخصص.
- ثالثاً:** لم يسبق تقديمها أو جزء منها للنشر إلى جهة أخرى.
- رابعاً:** ألا يقل عدد صفحات البحث أو (الدراسة) عن ١٠٠ صفحة.
- خامساً:** يقدم المركز مكافأة مالية رمزية عن كل دراسة.

نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
الأفراد	٤ د.ك	٤ د.ك	١٤ دولاراً
المؤسسات	٢٥ د.ك	٢٥ د.ك	٦٨ دولاراً

توجه جميع المراسلات باسم مدير المركز

ص.ب: ٦٤٩٨٦ (ب) الشويخ، ٧٠٤٦٠ الكويت

هاتف: ٢٤٨١٦٧٩٩ - ٢٤٨١٦٨٠٧ - ٢٤٨١٦٨٢٤ (المفتاح الدولي ٠٠٩٦٥) فاكس: ٢٤٨١٤٢٩٥ - ٢٤٨١٠٤٧٤

البريد الإلكتروني للمركز egaps@ku.edu.kw

العنوان الإلكتروني لصفحة المركز www.cgaps.kuniv.edu

المراسلات



لجنة التأليف والتعريب والنشر



جامعة الكويت مجلس النشر العلمي

■ تشكلت لجنة التأليف والتعريب
والنشر - التابعة لمجلس النشر
العلمي بجامعة الكويت
في عام 1976 م .

* أهداف اللجنة :

- 1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت .
- 2- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية .
- 3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسة التي انعقد عليها الإجماع العربي .

* مهام اللجنة :

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية (Text Book) . و المترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها علي نفقة الجامعة . و يراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية .

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي :

لجنة التأليف والتعريب والنشر / جامعة الكويت

ص.ب : 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت

تلفون : 4843185 / فاكس : 4843185

البريد الإلكتروني : [@kuc01.kuniv.edu.kw](mailto:kuc01.kuniv.edu.kw)



مجلة الكويت للعلوم والهندسة

KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE AND ENGINEERING

EDITOR - IN - CHIEF: *Prof. Fawzia Al-Ruwaih*

KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE AND ENGINEERING

An International Journal of the University of Kuwait

ISSN 1024 8684

A refereed Journal publishes original research in various fields of Basic and Applied Sciences and also all fields of Engineering and Computer Sciences. The Journal is published biannually (June and December) by the Academic Publication Council (APC) Kuwait University - one volume in two parts.

The Journal is cited in Chemical Abstracts, Compumath Citation Index, Current Contents, Energy Data Base, Helminthological Abstracts, Mathematics Abstracts, Mathematical Reviews, Microbiological Abstract, Petroleum Abstracts, Science Citation Index, Zentralblatt fur Mathematik, and Zoological Record. The Journal current page and titles are featured on our website. Refer to the **Instructions to Authors** for submission of manuscripts.

مجلة الكويت للعلوم والهندسة

المجلة العالمية لجامعة الكويت

ISSN 1024 8684

مجلة الكويت للعلوم والهندسة دورية علمية عالمية تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت تهتم بنشر البحوث الأصلية المحكمة في مختلف العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية وجميع فروع علوم الهندسة وعلوم الكمبيوتر. تصدر مرتين في السنة (يونيو وديسمبر) في جزأين اثنتين أحدهما يختص بالهندسة والآخر بالعلوم. الاستفسارات بخصوص النشر بالمجلة تطلب من مدير التحرير بالعنوان المذكور على الصفحة المقابلة. يرجى مراجعة إرشادات النشر للمؤلفين في الصفحات الأخيرة من العدد. وكذلك على صفحة الإنترنت.

www.kjse.kuniv.edu.kw

Annual Subscription (two parts, including Postage)

Inside Kuwait		Arab Countries		Other Countries	
for individuals	for establishments	for individuals	for establishments	for individuals	for establishments
3 KD	15 KD	4 KD	15 KD	15 US\$	60 US\$

Index to Kuwait Journal of Science & Engineering from Volume 1 to 35 is available from the Kuwait Journal of Science & Engineering, Academic Publication Council, Kuwait University.

Enquiries about the journal should be sent to the Managing Editor.

All Correspondence and Manuscripts directed to: Editor-in-Chief: Prof. Fawzia Al-Ruwaih
P.O.Box 17225, Khaldiyyah 72453, KUWAIT,

Tel: (+ 965) 2481 6261, 2498 4414, 2498 4625, 2498 4456. Fax: (+ 965) 2484 6725

E-mail: kjse@ku.edu.kw - Website: www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/kjse

مجلة الطفولة العربية
Journal of Arab Children (JAC)

مجلة فصلية محكمة تصدرها



الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية

إن مجلة الطفولة العربية مجلة علمية محكمة في أبحاثها الميدانية تقدم للقارئ المهتم بمجال الطفولة غزواً معرفياً لكل ما يخص الطفولة من دراسات وبحوث ومقالات وقراءات عامة يستفيد منها المختصون والمهتمون . وتقبل للنشر باللغتين العربية والإنجليزية المواد الآتية :

- الأبحاث الميدانية والتجريبية.
- الأبحاث والدراسات العلمية النظرية.
- عرض أو مراجعة الكتب الجديدة.
- التقارير العلمية عن المؤتمرات المعنية بدراسات الطفولة.
- المقالات العامة المتخصصة.

تدار المجلة من خلال مجلس أمناء ، وهيئة استشارية ، وهيئة تحرير.

رئيس هيئة التحرير الدكتور حسن علي إبراهيم

مدير التحرير الدكتور بدر عمر العمر

الإشتراكات

البيان	داخل الكويت	دول مجلس التعاون	الدول الأخرى
ثمن العدد للفرد	1 د.ك	1 د.ك	2 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للفرد	3 د.ك	4 د.ك	15 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للمؤسسات	15 د.ك	15 د.ك	60 دولار أمريكي

العنوان

أبرق خيطان- شارع فيصل بن عبد العزيز- فيلا رقم 9279
ص. ب. : 23928 الصفاة 13100 الكويت
تليفون : 4748479 - 4748387 - 4748250 - فاكس : 4749381
E-mail : haa49@qualitynet.net

مجلة فصلية أكاديمية

محكمة تعنى بنشر البحوث

والدراسات القانونية والشرعية

مجلة الحقوق



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور/ فيصل عبدالله الكندري

صدر العدد الأول في

يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية	
٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً	الأفراد
١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً	المؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت

تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣

E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol>

ISSN 1029 - 6069



التعاون Attaawun

رئيس التحرير
الدكتور مرزوق بشير مرزوق

صدر العدد الأول

في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - يناير ١٩٨٦ م

— تقبل الدراسات والبحوث والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول
مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية
والإعلامية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية .

— تشمل على بحث أو دراسة رئيسية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى تحت
عنوان : بحوث — آراء ووجهات نظر / تقارير / وثائق / عرض كـب /
يوميات مجلس التعاون / بـليوغرافيا مجلس التعاون / إحصاءات مجلس التعاون

يحررها نخبة من الباحثين والمختصين
يمنح المشاركون مكافأة مالية وفق نظام المكافآت الخاصة بالمجلة

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير — مجلة التعاون

ص . ب : ٧١٥٣ — الرياض : ١١٤٦٢

هاتف : ٤٨٨٠٤١٢ (٩٦٦١)

فاكس : ٤٨٢٩١٠٩ (٩٦٦١)

Email : attaawun@gcc-sg.org

Advisory Board

Prof. Ibrahim Al-Sa'afin

Department of Arabic Language and
Literature - University of Jordan

Prof. Hayat N. Al-Hajji

Department of History
University of Kuwait

Prof. Ahmed Etman

Department of Greek and Latin
Studies - University of Cairo

Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al-Fehri

Department of Arabic Language and
Literature - University of Mohamed V

Prof. Ismail S. Muqlad

Department of Political Science -
University of Assiout

**Prof. Marie-Therese Abdul
Messieh**

Department of English Language and
Literature - University of Kuwait

Prof. Imam Abdul Fattah Imam

Department of Philosophy
University of Ain-Shams

**Prof. Mohammed Ghanem
Al-Rumeihi**

Department of Sociology
University of Kuwait

Prof. Hamdi Hasan Abul-Enein

Dean, Faculty of Mass Communication
Misr International University

Prof. Mohammed M. I. Al-Dib

Department of Geography
University of Ain-Shams

Prof. Mahmoud Al-Sayed Abul-Nil

Department of Psychology - University of Ain Shams

Editorial Board

Dr. Fatima Ibrahim AL - Khalifa

Editor-in-chief

Prof. Bader M. Al-Ansari

Department of Psychology

Prof. Shafeeq Al-Ghabra

Department of Political Science

Prof. Jamal B. Al-Qenae

Department of English Language and
Literature

Dr. Husain A. Bo-Abbass

Department of Arabic Language
and Literature

Dr. Gassem S. Al-Fehaid

Department of Arabic Language
and Literature

Dr. Aly Z. Alzuabi

Department of Sociology and
Social Work

Dr. Ahmed EL-Sherbini

Department of History

Dr. Menawer B. EL-Raghy

Department of Mass Communication

Maha Ibrahim Al-Mes'ad

Acting Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

ISSUED by THE Academic Publication Council - UNIVERSITY of KUWAIT

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT
PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELE-
VANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE
VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF
ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Department of Mass Communication

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Department of Sociology and Social Work
- Department of Geography
- Department of Psychology
- Department of Political Science

Volume 34, 2013